دولة المأمونيين فى خوارزم

(٣٨٥ ـ ٤٠٨ هـ / ٩٩٥ ـ ١٠١٧ م)

(دراسة سياسية وحضارية)

إعداد

دكتور / فوزى حامد عباس الميمونى

قسم التاريخ والحضارة

كلية اللغة العربية بأسيوط

جامعة الأزهر

مقدمة

يغفل كثير من المؤرخين ذكر دولة خوارزم الأولى دولة المأمونيين فى قائمة دول المشرق الإسلامى التى انشقت واستقلت عن سلطة الخلافة العباسية فى بغداد كدولة الطاهريين، ودولة الزياريين، والسامانيين وغيرهم.

وإذا كانت هناك إشارات أو تلميحات عن دولة خوارزم فى المصادر المعاصرة أو المراجع الحديثة خاصة المعاجم التى تناولت ذكر الأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى، إلا أنه ومن الإنصاف أن تفرد دراسة خاصة بهذه الدولة تتناول أحداثها التاريخية السياسية والحضارية.

ودولة المأمونيين- حقيقة- أول دولة مستقلة حكمت إقليم خوارزم بكامله منذ الفتح الإسلامى، فالمعروف أن إقليم خوارزم كان مقسماً إلى جزئين، الجزء الجنوبى وكانت تحكمه الأسرة المالكة بخوارزم أى شاهات خوارزم وهم الذين صادفهم العرب الفاتحون عند بداية الفتح، وكانت عاصمتهم تسمى "كاث".

أما الجزء الشمالى من إقليم خوارزم فكان تحت حكم الأمراء العرب وكانت عاصمتهم يطلق عليها كركانج وأسماها العرب

"جرجانية" وقد وقع الصدام بين الطرفين حتى عام ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م حيث انتهى بأن اخضع أمراء جرجانية أراضى شاهات خوارزم، ووحدوا بين شطرى إقليم خوارزم، ولقبوا أنفسهم بلقب خوارزمشاد.

ولما تولى المأمونيين أمر خوارزم، أقاموا صرح دولة قوية على أسس متينة، فاهتموا بالنواحى الاقتصادية من زراعة، وصناعة وتجارة، كما أولوا عنايتهم بتوثيق علاقاتهم السياسية والتجارية بالأقاليم الإسلامية، وبالخلافة العباسية فى بغداد وحصلوا على تفويض الخليفة واعترافه بشرعية حكمهم للبلاد، وصارت دولة خوارزم على عهدهم دولة قوية مزدهرة فى سائر مناحى الحياة، وصارت من الدول المستقلة فى المشرق الإسلامى خاصة فى آسيا الوسطى.

ونتناول دراستنا لدولة المأمونيين فى خوارزم فى تمهيد وخمسة فصول والتمهيد يشمل أربعة موضوعات الموضوع الأول حول مسمى خوارزم، وخوارزمشاد، والثانى: جغرافية إقليم خوارزم، والثالث: الفتح الإسلامى لخوارزم، والرابع نبذة عن سكان خوارزم.

أما الفصل الأول فقد تناولنا فيه حالة خوارزم قبيل قيام دولـــة المأمونيين، وفى الفصل الثانى تحدثنا عن الحياة السياسية لدولة المأمونيين، ويشمل العلاقات السياسية بين دولة المأمونيين والســـامانيين، ثم العلاقات السياسية مع خانان تركستان، وأخيراً العلاقـــات السياســـية مع القبائل التركية والفصل الثالث وعنوانه "نهايـــة دولـــة المأمونييـــن، وتناولنا على صفحاته: موقف دولة المأمونييـــن من الخلافتين العباسية والفاطمية، ثم تناولنا العلاقات السياسية مع الدولة الغزنوية ، وسقوط دولة المأمونيين.

وفـــى الفصـــل الرابع تعرضنا للحياة الاقتصادية فى خوارزم خـــلال عصر المأمونيين، وفى الفصل الخامس والأخير تحدثنا فيه عن الحياة الثقافية فى خوارزم خلال عصر المأمونيين.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل لوجهه الكريم ولنيل مرضاته، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

دكتور/ فوزى حامد عباس

تمهيد:

وهـــو يشمل أربعة موضوعات، الموضوع الأول نتحدث فيه حول مسمى خوارزم وهو الاسم الذى أطلق على إقليم خوارزم أو علـــى دولة خوارزم خلال تاريخها الإسلامى الطويل، مع توضيح مسمى "خوارزمشاد" وهو الاسم الذى عرف به حكام خوارزم منذ أن كانـــت إمـــارة أو دويلة حتى أصبحت أكبر دولة إسلامية على عهد أسرة نوشتكين، والموضوع الثانى الذى نتناوله بالدراسة هو جغرافـــية إقلـــيم خـــوارزم ذلـــك الإقلـــيم الـــذى نشأت فيه دولة المأمونييـــن، والموضوع الثالث نعرض فيه الفتح الإسلامى لإقليم خـــوارزم وانضـــمامه إلـــى ولايـــات الدولـــة الإسلامية الكبرى، والموضوع الرابع ونتحدث فيه عن سكان خوارزم.

حول مسمى خوارزم – خوارزمشاد :

ذكـــر بعض الجغرافيين المسلمين قصة- قد تكون أقرب إلى الحقـــيقة- عـــن ســـبب تسمية خوارزم مضمونها أن أحد الملوك الفرس غضب على أربعمائة من أهل مملكته وخاصة حاشيته فأمر بنفـــيهم إلـــى موضع خوارزم، ولما بعث يتقصى أمرهم وجد أنهم تكاثـــروا وتناســـلوا، وبـــنوا أكواخـــاً ووجدوهم يصيدون السمك يـــتقوتون به، وحولهم حطب كثير، فقال مبعوثوا الملك لهم كيف حالكم؟ فقالوا عندنا اللحم وأشاروا إلى السمك، وعندنا هذا الحطب

فنحن نشوى هذا بهذا، واللحم بلغة الخوارزمية "خوار" والحطب "رزم" فسمى ذلك الموضع بخوارزم[١].

وقد كان لاسم خوارزم شهرة تاريخية لدى المؤرخين القدامى والمحدثين[٢] كشهرة اسم "مصر" الذى كان يطلق على الديار المصرية وما يضاف إليها من أقاليم، فكان اسم خوارزم لا يطلق على اسم الإقليم الذى هو أصل الخوارزميين وموطنهم الأول فحسب، وإنما كان ملازماً لإمارة الخوارزميين أو دولتهم فتذكر

---

١) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ٢٢٨ (ط دار إحياء التراث العربى- بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م)، ياقوت: معجم البلدان جـ٢ ص ٣٩٥ (ط دار صادر ١٩٧٩، ط إحياء التراث العربى ١٩٩٧- بيروت)، وقد ضبطت خوارزم فى معجم ياقوت: بضم الخاء.

(٢) كان لموقع خوارزم على امتداد مجرى نهر جيحون الذى يكوّن فى نهايته منطقة دلتاوية خصبة أثره فى تطور الحضارة فى أواسط آسية منذ أقدم العصور. وذكر هكاتايوس أن أرض الخوارزمية تقع شرقى قرثية (الفرس) وتعرف قبيلتها باسم "خوارزميا" ويقول بطلميوس إن الخوارزمية كانوا يعيشون على الضفة الشرقية لنهر جيحون، وهذا الموقع ينطبق على الموضع الذى قامت عليه فيما بعد القصبة "كاث" (وهى الأطلال الحديثة لمدينة (شيخ عباس ولى). أما أقدم الأسماء السنية التى أطلقت على خوارزم فى حوليات أسرة "هان الأولى" وهو "يوكين" فيوحى بأن موقعها ينطبق على مدينة كركانج التى تعرف الآن باسم "أركنج". وسواء كان الأمر فإن كاث وكركانج "جرجانية" كانتا عاصمتين لإقليم خوارزم، وقد استطاع أمير جرجانية أن يوحد الأراضى الخوارزمية تحت حكمه بعد أن قضى على الأسرة الحاكمة فى كاث. (البيهقى: تاريخ البيهقى ص ٧٣١. زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى، ص٣١٦- ٣١٨. دائرة المعارف، مادة خوارزم.

"إمـــارة خـــوارزم". ودولة خوارزم، كما لازم اسم خوارزم للحـــاكم أو الأمـــير أو السلطان الذى حكم "خوارزم" وكان يسمى "خـــوارزم شاه" وشاه تعنى أمير أو ملك أو حاكم أو سلطان، وقد يؤخر لفظ خوارزم ويقدم لفظ شاه هكذا: شاه- خوارزم وقد يحدث العكس فيكون هكذا: خوارزم – شاه، وتارة يكون هذا الاسم متصلاً ويكتـــب "خوارزمشـــاه" ومهمـــا يكـــن مـــن أمـــر فقد كان لقب "خوارزمشاه" موجودا بالفعل وقت الفتح الإسلامى لخوارزم، وذكر البـــيرونى أن اللقـــب الملكـــى "الشاهية" هو الذى بقى دون سواه متوارثا بين الأمراء الخوارزميين، أما الولاية الفعلية فكانت تؤول إليهم حينا وإلى غيرهم حيناً آخر[١].

وخـــلال العصور الإسلامية لخوارزم ومنذ الفتح الإسلامى لها تلقـــب حكامها بخوارزمشاه، وبعد أن قامت بها دول شبه مستقلة كدولتى المأمونيين، وآلتونتاش أو قيام دولة أسرة أنوشتكين وهى الدولة الثالثة[٢] فى خوارزم وأقواها شأنا، استمر لقب خوارزمشاه

---

(١) البيرونى: الآثار الباقية عن القرون الخالية (نشر سخاو- ليبزج ١٩٢٣) ص ٤٠ ، ص ١٠٢، دائرة المعارف الإسلامية، ص ٣، ٥، ١٤.

(٢) قامت دولة المأمونيين فى عام ٣٨٥هـ (٩٩٥م) وسقطت على أيدى الغزنويين فى عـــام ٤٠٨هـ (١٠١٧م)، حيث ولى السلطان محمود الغزنوى على خوارزم أمـــيراً مـــن قـــبله هو ألتونتاش مؤسس دولة خوارزم الثانية فى عام ٤٠٨هـ (١٠١٧م)(وســـقطت هذه الدولة على يد السلطان السلجوقى طغرليك فى عام ٤٣٤هـــ (١٠٤٢م). واستمرت خوارزم فى قبضة السلاجقة حتى عام ٤٧٠ هـــ (١٠٧٧م) حيث تولى دولة خوارزم أنوشتكين، وهو مؤسس دولة خوارزم

هـو الغالـب على حكام خوارزم حتى بعد أن تلقبوا رسميا بلقـب "سـلطان"، وقـد استمر لقب خوارزمشاه ملاصقا لأمراء خوارزم حتى عهد قريب فى نهاية القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى).

أمـا عـن مسرح الأحداث وهى "الأرض الخوارزمية" موطن دولـة المأمونيين فسوف نتحدث عن جغرافيتها من حيث الحدود السياسـية للإقلـيم وأهـم مدنـه وقراه، والظروف التضاريسية والمناخـية التى شكلت البيئة المناسبة التى عاش فى كنفها سكان خـوارزم، حيث زاولوا نشاطهم الاقتصادى والاجتماعى والثقافى، فازدهرت حضارتهم، ورقت وسمت ثقافتهم.

جغرافية إقليم خوارزم:

الثالـثة أقوى دول خوارزم خلال تاريخها الإسلامى وسقطت هذه الدولة فى يد المغـول فى عـام ٦٢٨هـ (١٢٣١م) واستشهاد جلال الدين منكبرتى آخر سـلاطينها خلال مطاردتهم له، انظر البيرونى: الآثار الباقية ص ١٠٢؛ ابن الأثير الكامل فى التاريخ أحداث سنة ٣٣٢هـ، ط بيروت ١٩٦٧)؛ زامباور: معجم الأنسـاب ص ٣١٦-٣١٨ (ط بـيروت ١٩٨٠)؛ د/ أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية جـ٢ ص ٣٧٣-٣٧٦ (ط القاهرة ١٩٧٢)؛ بارتولد: تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى ص ٣٦٣، (نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم ط أولى، الكويت ١٤٠١هـ/١٩٨١م).

أطلق المؤرخون والجغرافيون المسلمون[١] اسم خوارزم على الإقليم الذى نشأت فيه "دولة المأمونيين"، وهو إقليم قائم بذاته منقطع عن ما وراء النهر[٢]، ومنقطع - أيضاً- عن إقليم خراسان، تحيط به المغاوز من كل جانب، وحده مما يلى الشمال والغرب مواطن الترك الغزية[٣]، وجنوبه وشرقه خراسان، وما

---

(١) انظر: الأصطخرى: المسالك والممالك ص١٦٨، (ط ليدن ١٩٢٧. ط القاهرة ١٣٨١هـ/١٩٦١م تحقيق محمد جابر عبد العال؛ ابن حوقل: صورة الأرض ص ٤٧٧ (ط ثانية- ليدن -١٩٣٨)؛ المقدسى: أحسن التقاسيم ص ٢٢٧؛ الإدريسى: نزهة المشتاق جـ٢ ص ٦٩٧ (القاهرة، نشر مكتبة الثقافة الإسلامية) ؛ ياقوت: معجم البلدان جـ٢ ص٣٩٥-٣٩٧.

(٢) هى البلاد التى تقع شرقى نهر جيحون، وكان جيحون يمثل الحد الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية، والتركية، (أى إيران وتوران)، وكانت بلاد ما وراء النهر تسمى- أيضاً- بلاد الترك الهياطلة، وقد اختلف الجغرافيون المسلمون فى تحديد أقاليم ما وراء النهر. فمنهم من جعلها الأقاليم المحصورة بين نهرى سيحون وجيحون، ومنهم من أضاف إلى ذلك الأقاليم التى تقع على ضفة سيحون الشرقية والتى تعرف باسم "تركستان" وأقاليم ما وراء النهر هى: السغد (الصغد) وأشروسنة وفرغانة، والشاش (طشقند)، والصغانيان، والختل، وأسبيجاب (أسفيجاب). انظر: ابن خرداذبة: المسالك والممالك ص٤٤ (تحقيق محمد مخزوم، ط بيروت دار إحياء التراث العربى ١٩٨٨)؛ المقدسى: المصدر السابق ص٢١٤، ص ٢٢٧، ابن حوقل: صورة الأرض ص ٥١٠، المقدسى: المصدر السابق ص٢١٤-٢٢٧؛ ياقوت: المصدر السابق ص١٩٩، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٧٦-٤٧٧ (ترجمة: بشير فرنسيس، وكوركيس عواد. بيروت، ط ٢. ١٩٨٥م).

(٣) انتشرت قبائل الترك الغزية فى آسيا الوسطى فى منطقة امتدت من بحر الخزر غرباً إلى أواسط مجرى نهر سيحون شرقاً، وسيرد الحديث عنها مفصلاً خلال

وراء النهر، وتقع معظم مدنه وقراه على جانبى نهر جيحون، الجانب الشرقى أى التركى، والجانب الغربى أى الفارسى.

وفيما يلى نلقى الضوء على الظروف التضاريسية والمناخية فى إقليم خوارزم، واثر ذلك على مزاولة السكان للأنشطة الاقتصادية المختلفة.

تحيط الصحراء بمرتفعاتها وهضابها وادى نهر جيحون العظيم حتى مصبه فى بحيرة خوارزم (بحر آرال الآن)، وكان الجغرافيون المسلمون يطلقون على الامتداد الصحراوى الذى يحده من الغرب بحر الخرز (قزوين) إلى الجانب الشرقى لنهر جيحون اسم "مفازة الترك"[١]، وتستطيل هذا الجزء إلى الجنوب حيث إقليم خراسان

الصفحات التالية (انظر: ابن خرداذبة: المصدر السابق ص٤٠، رحلة ابن فضلان ص٩ (تحقيق سامى الدهان، مكتبة الثقافة العالمية، بيروت)؛ ابن حوقل: صورة الأرض ص ٤٥٩، ٤٦٧، ٤٧٧.

(١) ابن حوقل: صورة الأرض ص٣٨٦؛ ياقوت: معجم البلدان: ص ص ٤٣٨-٤٣٩؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٢٠، ٤٨٦، جاء ذكر هذه المفازة فى كتاب "حدود العالم" باسم "مفازة خوارزم والغز" ويحاذى شرقيها حدود مرو بإقليم خراسان حتى يصل جيحون، وجنوبيها حدود باورد ونسا وفراوة ودهستان، ثم تمتد إلى بحر الخزر حتى حدود نهر أتل (القولجا الآن)، وشماليها يحاذى نهر جيحون وبحر خوارزم، وحدود الترك الغز حتى حد بلاد البلغار..." انظر:

Minorsky (V.,): Hudud al-Alam p. 81 (Oxford, 1937).

والساحل الجنوبى لبحر الخزر، حيث تقع جبال ألبرز، وتكتنف هذه الصحراء رمال متحركة حتى مدينة الطاهرية بخوارزم[١].

أما بالنسبة لجبال بلاد ما وراء النهر والتى تمتد إلى إقليم خوارزم فهى امتداد لجبال ومرتفعات الهضاب والجبال التى تقع شمالى بلاد الصين والهند وأهمها هضبة التبت وهضبة الغامر (اليامير) وجبال هملايا وجبال تيان شان حيث منابع نهرى سيحون وجيحون[٢]، ثم تمتد أطراف هذه المرتفعات والجبال شمالاً إلى بلاد ما وراء النهر، وهو ما عبر عنه جغرافيو تلك الفترة بجبل سرنديب وهو جبل عظيم طوله مائة فرسخ وهو عال لا يستطيع أحد أن يرقى إليها (وهو المعروف الآن بجبال هملايا بقمته العالية قمة إفرست) ثم يخرج من هذا الجبل جبل متصل به يقع بين آخر الهند وأول حد الصين، يدعى جبل مانسا، يتجه إلى ناحية الشمال حتى يصل إلى آخر الهند، وأول التبت وهناك تنشعب منه شعب كثيرة تتفرق فى جميع نواحى ما وراء النهر كانت تسمى جبال

---

(١) لسترنج: المرجع السابق ص ٤٨٦-٤٨٧.

(٢) الأصطخرى: المسالك والممالك ص ١٨٢ (القاهرة- ١٣٨١هـ/١٩٦١م) لسترنج: المرجع السابق ص٤٧٨، انظر أيضاً الأطلس العربى ص ٥٠ (ط رابعة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م- القاهرة.

البـــتم نسبة إلى رستاق البتم فى إقليم أشروسنة، ويوجد فى هذه الشعب الكثير من الفضة والرصاص والحديد والعقاقير.. [١].

أنهار خوارزم:

يعتـــبر نهـــر جيحون (أوكسس Oxus أو أمودريا) منذ القدم أعظم أنهار بلاد ما وراء النهر وخوارزم وأهم مصادر المياد التى اعـــتمد عليه سكان تلك البلاد، وقد كثرت فريعاته التى رويت عن طـــريقها جمـــيع الرســـاتيق[٢] بقـــراها على طول ضفتيه اليمنى واليسرى من منبعه حتى مصبه فى جنوب بحيرة خوارزم[٣] (بحر آرال الآن). ومـــنابع نهر جيحون من بحيرة التبت الصغرى وفى الفامـــر (بامـــير Pamir)، وكان له أربعة روافد ثم يخترق النهر

---

(١) Minorsky: Op. Cit., p. 61-62.

(٢) الرســـاتيق: جمـــع رســـتاق، قال ياقوت كلمة فارسية يعنون بها كل موضع فيه مـــزارع وقرى. ولا يقال ذلك للمدن كالبصرة وبغداد، وهو أخص من الكورة والأســـتان. والأســـتان والكورة واحد، وينقـــسم الأستان إلى الوساتيق، وينقـــسم الرســـتاق إلى طســـاسيج، وينقسم كل طســوج إلى عدة من القرى (معجم البلدان جـــ١ ص٤٠).

(٣) يصـــب فى هـــذه الـــبحيرة أيضاً نهر سيحون وهو نظير جيحون وهو على الحد الشـــرقى لبلاد ما وراء النهر ومصبه فى الشمال الشرقى من البحيرة المذكورة، وذكـــر الجغرافيون المسلمون أنه ينبع من بلد الترك،ويعظم بأنهار تجتمع إليه تأتى من الجبال الغربية منه، وهو صالح للملاحة النهرية طول العام عدا فصل الشتاء، حيـــث تجمـــد مياهه كنهر جيحون، انظر: ابن حوقل: صورة الأرض ص٥٠٧؛ الادريســـى: نـــزهة المشـــتاق جـــ٢ ص٧٠٤-٧٠٦؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٧٨.

أراضى أقاليم ما وراء النهر شمالاً حيث دلتاه الخصبة بإقليم خوارزم[١].

وأول أنهار خوارزم، ويأخذ من ضفة جيحون اليمنى (الشرقية) نهر "كَاو خوارة"[٢]. وكان يحمل السفن ويبلغ عمقه نحو من قامتين وعرضه خمس، ويجرى شمالاً فيسقى كثير من الأراضى الزراعية حتى مدينة "كاث"

وكانت تتفرع من جيحون على جانبه الغربى (أى يساره) جملة أنهار، أولها نهر يمر بمدينة "هزاراسب" ويسقى رساتيقها وهو صالح للملاحة النهرية، وعلى فرسخين شمال هزاراسب يأخذ من جيحون نهر قرداران خواش، ويمر بمدينة باسمه وهو أكبر من نهر هزاراسب،وشمالى هذا النهر نهر خيوه، وهو أكبر من سابقه تجرى فيه السفن الآتية من جيحون الىمدينة خيوه (خيوق)[٣].

---

(١) ابن رسته: الأعلاق النفيسة ص ٩٠-٩٢ (ط أولى ١٩٨٨) الأصطخرى:المصدر السابق ص١٦٨.

(٢) كَاو خواره بلغة خوارزم "أكل البقر" عن هذا النهر انظر: ابن حوقل: صورة الأرض، ص٤٧٩.

(٣) عن هذه الأنهار انظر: الأصطخرى: المصدر السابق ص ١٦٩،/ الإدريسى: نزهة المشتاق جـ٢ ص٦٩٧.

والـــنهر الرابع الآخذ من الجانب الشرقى لجيحون نهر "مدرا" ويقع شمالى نهر خيود، وهو ضعف نهر كاو خوارد السابق ذكره- وكان يسقى أراضى مدينة مدرا وقراها[١].

وكانـــت مدينة كاث قصبة الإقليم الشرقية تعتمد فى ريها على نهر يقال له "جردور" وهو اصغر من سابقيه ويأخذ أيضاً من ضفة جيحون الشرقية[٢].

أما عن الأنهار التى كانت تأخذ من ضفة جيحون الغربية (أى اليســـرى) فأولهـــا نهـــر "وداك" وكـــان يحمل السفن إلى مدينة الجرجانـــية قصـــبة خـــوارزم الغربية، وهو يقع شمالى نهر مدرا السابق، وهناك نهر آخر على القرب من نهر وداك يسمى نهر بود (أو بـــود وبويـــه) وتسقى منه قرية كبيرة تسمى باندرستان على نحو مرحلة من جنوبى الجرجانية[٣].

ومن الأنهار التى تأخذ- أيضاً- من ضفة جيحون الغربية نهر "كـــردر" وكـــان يقال للرستاق الذى فيما بين مجرى نهر جيحون نفســـه ونهر كردر رستاق مزداخكان (أو مزدا خقان)، ويقال إنه

---

(١) الأصـــطخرى: نفـــس المصدر والصفحة، الإدريسى: نفس المصدر والصفحة. لســترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٩٦.

(٢) نهـــر جردور ورد اسمه هكذا فى التعليقات على ص ٤٧٨ من كتاب ابن حوقل صـــورة الأرض. اما فى متن الصفحة نفسها فقد ورد هكذا نهر "خركور" وأخذ الأســـتاذ لـــسترنج بالاســـم الأول نهر (جردور) وأثبته فى كتابه: بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٨٩.

(٣) ابن حوقل: المصدر السابق ص٤٧٠-٤٨٠، لسترنج: المرجع السابق ص٤٩٦.

كـــان فـــى هذا الرستاق اثنا عشر ألف قرية، وإن كان هذا العـــدد مبالغ فيه إلا أنه يدل على اتساع أراضيه، وقصبته "كردر" وهـــى مدينة حصينة، وعلى مسافة يومين منها عند حد خوارزم الشـــمالى قـــرية كبيرة يقال لها براتكين (أو فراتكين) وهى مدينة عامـــرة السواق فيها جامع حسن البناء، وغربيها مدينة "مذمينية" وتـــبعد أربعـــة فراسخ من يمين جيحون، ومن هذه المدينة حتى ســـاحل بحيرة خوارزم لا يرى بناء ولا قرية ولا أرض مزروعة، إلا مناقع يكثر فيها القصب تقع عند فم نهر جيحون[١].

الأحوال المناخية لإقليم خوارزم:

تتمـــيز خـــوارزم بمـــناخ بارد، تنخفض فيه درجات الحرارة انخفاضاً شديداً حيث يبلغ متوسط المعدل الحرارى السنوى من اقل مـــن ١° إلـــى ١٠°، وتدخل خوارزم فى نطاق الإقليم شبه الجاف والذى يعرف "بالأستبس"[٢].

وتغطى الثلوج- فى فصل الشتاء- معظم الأراضى الخوارزمية وقـــد يســـتمر الجليد متراكماً على المرتفعات طوال فترات السنة، ويشـــير الجغرافيون إلى تجمد ماء نهرى سيحون وجيحون خلال الشـــتاء، وكانـــت القوافل الموقرة تعبرهما ماشية فوق سطحيهما

---

(١) ابن حوقل: نفسه ص٤٨٠.

(٢) الأطلس الجغرافى العربى. خرائط التوزيعات (المتوسط السنوى للحرارة، الأقاليم المناخية) ص٧١-٧٢ وانظر أيضاً: The University, Atlas, p. 58-59, (London, 1953).

المتجمديـــن، وقد يستمر حال النهرين على هذا من شهرين إلى خمسة فى فصل الشتاء[١].

ويـــبلغ سمك طبقة الجليد على سطحى نهر سيحون وجيحون خمســـة أشـــبار أو أكـــثر، وذكر ياقوت[٢] إن "أهل خوارزم كانوا يحفـــرون فـــيه آباراً بالمعاول حتى يخرقوه إلى الماء، ثم يسقون مـــنها كمـــا يسقون من البئر لشربهم، ويحملونه فى الجرار" كما أشـــار الاصـــطخرى[٣] إلـــى "أن الماء فى بحيرة خوارزم بجوار الساحل يبقى جامداً طوال أشهر السنة".

وكـــان لشـــدة مـــا يعانـــيه سكان خوارزم من قسوة الشتاء وبـــرودتها يرتدون ملابس خاصة تقيهم بأس وضراوة هذا المناخ السيئ، فكانوا يستخدمون المعاطف والعباءات والخفاف المصنوعة مـــن الجلـــود والفـــراء، ويلبسون فى أيديهم البوز وهى قفازات مصنعة أيضاً من جلود الحيوانات لاتقاء شدة البرد[٤].

مدن وقرى إقليم خوارزم:

كـــان لإقليم خوارزم قصبتان أولهما فى الجانب الغربى لنهر جـــيحون أى الفارســـى وتسمى الجرجانية (كركانج)،والأخرى فى الجانب الشرقى أى التركى من النهر ويقال لها "كاث" وبينها وبين

---

(١) ابن حوقل: المصدر السابق ص٤٨١.

(٢) معجم البلدان جـ٣ ص١٠١.

(٣) المسالك والممالك ص

(٤) رحلة ابن فضلان ص٨٥، المقدسى: أحسن التقاسيم ص٢٥٥.

جرجانية عشرون فرسخا، وقد كانت فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) فى منزلة تفوق صاحبتها[١].

١- كاث (Kazh , Kath):

تقع على نهر جردور أحد فروع جيحون وهى العاصمة الأولى لخوارزم ولها سوق عامرة وقهندز (قلعة) ومسجد جامع، وقصر سلطانهم الملقب بخوارزم شاه على ظهر قهندزها[٢]، وكانت مركزا وسوقا تجاريا رائجا للترك فى بلاد ما وراء النهر، وفى نهاية القرن الرابع الهجرى أفل نجمها كقصبة للبلاد وحلت محلها جرجانية[٣].

٢- جرجانية (كُرْكَانْج) Gurganj

وهى العاصمة الثانية لخوارزم بعد أفول نجم عاصمتها الأولى كاث وأهل خوارزم يسمو بها "كركانج" ثم عربت فقيل "جرجانية"

---

(١) إقليم خوارزم منقطع عن ما وراء النهر،ومنقطع أيضاً عن إقليم خراسان، وهو إقليم واسع ومدنه كثيرة، تحيط به المفاوز من كل جانب، وحده مما يلى الشمال والغرب مواطن الترك الغزية،وجنوبه وشرقه خراسان وما وراء النهر، وتقع معظم مدنه وقراه على جانبى جيحون وفريعاته (الاصطخرى: المسالك والممالك ص١٦٨)، ابن حوقل: المسالك والممالك ص ٣٥٠-٣٥١ (ط ليدن – بريل – ١٨٧٢م)، المقدسى: المصدر السابق ص ٢٢٧؛ الإدريسى: نزهة المشتاق جـ٢ ص٦٩٧.

(٢) الاصطخرى: المسالك والممالك ص ١٦٨ (القاهرة ١٣٨١هـ/١٩٦١م)؛ ياقوت: جـ٧ ص١١٢، ط١٩٩٧). Minorsky (V): Hudud al-Alam p, 121

(٣) البيهقى: المصدر السابق، ص٧٤١؛ ياقوت: جـ٣ ص٤٥؛ جـ٧ ص١٣١.

وهـــى علـــى قســـمين كـــركانج الكبرى، وكركانج الصغرى والمســـافة فيما بينهما ثلاثة فراسخ، وتقع جرجانية على الجانب الغـــربى لجـــيحون، وتروى أخبار الفتوح الإسلامية أن قتيبة بن مســـلم لما غزا إقليم خوارزم كان يقال لقصبته "الفيل"[١] ثم صار اســـمها المنصورة، ويقال أن هذه المدينة كانت تقوم على الجانب الأبعـــد من جيحون فى موضع يقابل الجرجانية المحدثة، غير أن فيضـــان جيحون طغى عليها وخربها فأخذت الجرجانية مكانها[٢]، وجرجانـــية مديـــنة تجارية كبرى وهى منزل التجار،وسكانها أهل ثـــراء وهـــم محـــاربون من الطراز الأول[٣]، وقد صمدوا ببسالة يقـــاومون المغـــول رغـــم حصارهم لها مدة تزيد عن ستة أشهر مســـتمرة لـــم تصـــمد مدينة من المدن التى فتحها المغول مثلما صمدت العاصمة الخوارزمية.

٣- خيوه (خيوق) Khiv, Khiva:

تقـــع غـــربى نهر جيحون،وتبعد عن العاصمة بمسافة خمسة عشـــر فرســـخاً (٤٥) ميلاً) وهى مدينة- كما يصفها الجغرافيون والـــرحالة- عامرة بالتجارة والأسواق ذات سور حصين وحدائق غـــناء وبساتين مورقة وأهلها شافعية دون بلاد خوارزم الأخرى

---

(١) الـــبلاذرى: فـــتوح البلدان جـــ٣ ص٥١٨ (نشر صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، بدون تاريخ).

(٢) ياقوت: معجم البلدان جـــ٦ ص ٤٥٣.

(٣) ياقوت: جـــ٣ ص ٤٥. جـــ٧. ١٣١، Hudud al- Alam, p. 122

التى يعتنق أهلها المذهب الحنفى، وينسب إليها أبو الجناب الكبرى الخيوقى، وكان متفقها وعالما بالحديث، ومن كبار صوفية آسيا الوسطى[١].

٤- هزار اسب (هزار اسف):

ذكرها ياقوت[٢] هكذا "هزار اسب" وقد تستبدل "الباء" بحرف "الفاء" وتقرأ "هزار اسف" ومعناه بالفارسية "ألف فرس" وهى من قلاع إقليم خوارزم الحصينة وهى مدينة جميلة، أسواقها عامرة وكثيرة وأهلها "بزازون" وهم أهل ثروة،وتبعد هزار اسب عن العاصمة بمسيرة ثلاثة أيام، وقد شهدت هذه المدينة الواقعة بين جيش خوارزم وجيش السلطان محمود الغزنوى وانتهت بانتصار الجيش الغزنوى[٣] كما سنوضحه فيما بعد.

٥- درغان:

---

(١) الإدريسى: نزهة المشتاق جـ٢ ص ٦٩٦؛ ياقوت: معجم البلدان: جـ٢ ص ٤١٥، المقريزى: المقفى الكبير جـ١ ص ٥٤٩-٥٥٠ (تحقيق محمد اليعلاوى دار الغرب الإسلامى. ط أولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، بيروت)؛ انظر أيضاً:

- Le Strange (G): The Geographical Part of The Nu Zhat- Al – Qulub Composed By: Hamd-Allah Mustawfi of Qozwin, p. 251.
Hudud al – Alam, p. 122.

(٢) معجم البلدان جـ٨ ص٤٧٧؛ انظر أيضاً ابن حوقل: صورة الأرض ص ٤٧٨

(٣) نظام الدين أحمد بخشى الهروى: طبقات أكبرى ص ٢٩ (ترجمه عن الفارسية د. أحمد عبد القادر الشاذلى ط القاهرة، ١٩٩٥).

تقـــع على الضفة اليسرى لنهر جيحون،وهى أكبر مدن الإقلـــيم علـــى الضفة بعد كركانج، وهى على مسيرة يومين اسفل الطاهـــرية، وتعتـــبر أول حـــدود خوارزم على طريق مرو. وكان بدرغـــان مســـجد جميل لا مثيل له فى إقليم خوارزم بأسره مزينه بالحجـــارة الكريمة، ومنقوش بالذهب،ويصف ياقوت هذه المدينة بأنها كانت على جرف عال يبعد ميلين من النهر، وبين هذا الجرف والنهر تمتد مزارع الأهالى، وبساتينهم[١].

٦- كَرْدرُ::

ذكـــرها ياقوت[٢] من نواحى خوارزم، تقع على حدود الترك، ولســـان أهلهـــا لـــيس خوارزمياً، أو تركياً، لها عدة قرى وأهلها أصـــحاب أموال ومواشى وزراعة، ولها نهر باسمها "نهر كردر" وهو أحد فروع نهر جيحون[٣] ومن قرى خوارزم ذات شأن قرية "زمخشـــر" نســـب إلـــيها الإمـــام اللغوى المفسر الزمخشرى[٤]،

---

(١) ابـــن حوقـــل: المصـــدر السابق ص ٤٧٨؛ معجم البلدان جـــ٤ ص٢٩٧ (ط ١٩٩٧).

(٢) المصدر السابق جـــ٧ ص ١٢٩؛ انظر أيضاً:

Hudud al- Alam, p. 122.

(٣) الأصـــطخرى: المصدر السابق، ص ١٦٩؛ الإدريسى: نزهة المشتاق جـــ٢ ص ٦٩٧.

(٤) الإمـــام الزمخشرى: هو أبو القاسم محمود (أو محمد) بن عمر بن أحمد، نشأ منذ صـــباه مولعاً باللغة العربية، تتلمذ فى اللغة والأدب والنحو على أبى مضر محمود بـــن جرير الضبى الأصبهانى، وأبى الحسن على بن المظفر النيسابورى، وسمع من شـــيخ الاســـلام أبى منصور نصر الحارثى، وأبى سعد الشقانى،ومن أهم مؤلفات

و"بـــرقان" وهى من قرى مدينة كاث، نسب إليها الحافظ أبو بكـــر الـــبرقانى[١]. وهذه النواحى كانت عامرة بالأسواق والمبانى والمساجد كما وصفها الرحالة المسلمون[٢].

ولإقلـــيم خـــوارزم مدن وقرى أخرى لا تقل شأناً عما ذكرنا، مـــنها مديـــنة الطاهرية، وتقع عند بداية دلتا نهر جيحون، ومنها

الزمخشرى تفسيره المشهور بـــ "الكشاف" ومن مؤلفاته "المفصل فى تعليم النحو" و "القسطاس" وهو كتاب فى العروض،وكتاب "مقدمة الأدب" وهو معجم عربى فارســـى. وقد ولد الزمخشرى سنة ٤٦٧هـــ (١٠٧٤م) وتوفى سنة ٥٣٨هـــ (١١٤٤م) ودفـــن بجرجانية (كركانج) عن عمر يناهز إحدى وسبعين سنة. وقد زار ابـــن بطوطة قبره هناك انظر: السمعانى: الأنساب جـــ٣ ص ١٦٣-١٦٤؛ يـــاقوت: معجـــم الأدبـــاء جـــ٥ ص٤٨٩. وفيات الأعيان جـــ٤ ص٢٥٥؛ الـــداودى: طـــبقات المفسرين جـــ٢ ص٣١٤-٣١٥ (تحقيق على محمد عمر، القاهرة ط أولى ١٨٧٢)؛ السيوطى: طبقات المفسرين ص١٢٠-١٢١ (تحقيق عـــلى محمـــد عمـــر. ط أولى القاهرة ١٣٩٦هـــ (١٩٧٦م) طبقات اللغويين والنحاة للسيوطى- أيضاً- جـــ٢ ص٢٧٩ (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (ط أولى – القاهرة ١٣٨٤هـــ/١٩٦٥م).

(١) ياقوت: معجم البلدان جـــ١ ص ٣٨٧.

(٢) ابـــن حوقـــل: صورة الأرض ص ٤٧٨ وقد ذكر ابن حوقل أسماء لمدن لم نعثر عليها لدى ياقوت فى معجمه منها: سافردز، نوزوار كردان خواش، مزداخقان، غـــير أن مدينة كرداران خواش ذكرت فى كتاب **(Hudud al – Alam)** حـــدود العـــالم ص ١٢٢، هكذا كردران خاش، وأنها تتكون من ثلاث نواحى (قـــرى) سكانها قنة ويعملون بمهنة الزراعة، انظر المقدسى: أحسن التقاسيم ص ٥٦-٥٧، ٢٢٩-٢٣٠؛ يـــاقوت: جـــ٢ ص٤٥١، جـــ٣ ص١٤٧؛ حمد الله المـــستوفى القـــزوينى: نزهة القلوب (الجزء الجغرافى) ص ٢٥١ (نشر لسترنج- ليدن، ١٩١٩).

يجـــرى نهر جيحون فى طريقه إلى بحيرة خوارزم فى نحو من ثلاثمائة ميل من مجراه[١].

وعلى امتداد المسافة بين مدينتى الطاهرية، وهزار اسب كانت هـــناك ثـــلاث مدن على ضفة جيحون اليسرى، فعلى الجادة أسفل الطاهـــرية بمـــرحلة كانت مدينة "جكربند" تحف بأنهارها الأشجار والبســـاتين، وعلـــى مرحلة شماليها تقع مدينة درغان- السالفة الذكـــر- وتقع بين درغان وهزار اسب مدينة "سدور" وهى مدينة حصينة بها مسجد جامع[٢]، وكان الطريق المتجه شمالاً من مدينة خـــيوه إلـــى جرجانية يتخلل كثيراً من المدن والقرى منها: مدينة أثخشميثن أو (راخشميثن) وهى على مرحلة من خيوه، ذكر ياقوت إنهـــا "مدينة كبيرة ذات أسواق عامرة ونعمة وافرة، وهى فى قدر مدينة "تصيبين" بالجزيرة، إلا أنها أعمر وأهل منها"[٣].

وإلـــى الشمال من مدينة أرثخشميثن تقع مدينة "روزوند"[٤]، وهى متوسطة الرقعة محصنة بخندق، والجامع على طرف سوقها، وبجانـــبها قـــرية "أندرستان" وإذا جاوزناها بلغنا مدينة "نوزوار" وتقـــع عـــند ملـــتقى نهـــر وداك بنهر "بوه" على مرحلة جنوبى

---

(١) ابن حوقل: المصر السابق، ص٤٧٨؛ لسترنج: المرجع السابق ص ٤٨٦.

(٢) ابن حوقل: نفسه ص ٤٧٨؛ المقدسى: أحسن التقاسيم ص٢٣٠؛ ياقوت: جـــ ٤ ص٢٩٧؛ لسترنج: ٤٩٥.

(٣) معجم البلدان: جـــ١ ص١١٩.

(٤) المقدسى: المصدر السابق. ص٢٣٠.

العاصمة جرجانية، وكان على مدينة نوزوار حصن وخندق، ولها بابان من الحديد، وجسر يرفع كل ليلة، ولها مسجد جامع فى وسط سوقها، وعلى باب المدينة الغربى حمام ليس بالإقليم مثله[١].

وعلى الحد الشمالى الشرقى لخوارزم تقع قرية براتكين (أو قراتكين)، وبالقرب منها مقالع الحجارة التى تحمل إلى أنحاء خوارزم للبناء، وكانت براتكين ذات أسواق، وجامع حسن، وتقع غربيها مدينة تسمى "مذمينية" تبعد أربعة فراسخ من يمين "جيحون"، بإزاء مكان يسمى "جيت" أو "كيث" ومن هذا المكان حتى ساحل بحيرة خوارزم لا يرى بناء أو قرية[٢].

الفتح الإسلامى لإقليم خوارزم:

فى هذا الجزء الأخير من الدراسة التمهيدية نتناول أحداث الفتح الإسلامى لخوارزم، فيشير المؤرخون المسلمون إلى أن إقليم خوارزم فتح صلحاً،وقد بدأت محاولات الفتح سنة ٣٢هـ[٣]

---

(١) ابن حوقل: ص ٤٧٩؛ ويرجح لسترنج أن تكون "نوزوار" وهى المدينة التى سماها ياقوت "نوزكاث" انظر معجم البلدان جـ٨ ص٤٠٨؛ وانظر أيضاً المقدسى، ص٢٣٠.

(٢) ابن حوقل: ص ٤٧٩-٤٨٠؛ لسترنج: المرجع السابق، ص٤٨٠.

(٣) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـ٤ ص٣١٣ (ط رابعة- دار المعارف)؛ فتوح البلدان: جـ٣ ص٥٠٤ (نشر د. صلاح الدين المنجد- مكتبة النهضة المصرية).

(٦٥٢م) وذلك عندما سار الأحنف بن قيس من مرو الروز إلى بلخ وحاصر أهلها، فصالحوه على أربعمائة ألف (٤٠٠,٠٠٠) ويقال سبعمائة ألف (٧٠٠,٠٠٠)، واستعمل عليها ابن عمه سيد بن المتشمس ثم سار إلى خوارزم على نهر جيحون، فأقام حتى حل فصل الشتاء، فأمر الأحنف رجاله بالرحيل والعودة إلى بلخ[١]. ولما ولى يزيد بن معاوية سلم بن زياد على خراسان وسجستان سنة ٦١هجرية (٦٥١م)، قام بغزو خوارزم فصالحه أهلها على مال كثير بلغ مائة ألف (١٠٠,٠٠٠)، حملوها إليه ثم عبر نهر جيحون وكانت معه امرأته أم محمد[٢] (بنت عبد الله بن عثمان بن أبى العاص الثقفى) وكانت أول امرأة عربية تعبر جيحون[٣]. وفى زمن الحجاج بن يوسف غزا واليه يزيد بن المهلب خوارزم عام ٨٥هـ (٧٠٤م) فصالحه أهلها، وكان معه أسرى من الخوارزميين وقد ماتوا جميعاً فى العراء من شدة البرد والصقيع[٤].

---

(١) البلاذرى: المصدر السابق نفس الجزء والصفحة، الطبرى: المصدر السابق نفس الجزء والصفحة، ابن الأثير: الكامل جـ٣ ص٦٣.

(٢) البلاذرى: نفس المصدر والجزء ص ٥١٠.

(٣) البلاذرى: المصدر السابق نفس الجزء والصفحة، الطبرى: نفس المصدر جـ٥ ص ٤٧٣، ٤٧٤؛ ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب جـ١ ص٧٠، يلاحظ أن ابن العماد اختلف مع الطبرى فى السنة التى وقع فيها الصلح فذكر أنه تم سنة ٦٢هـ.

(٤) البلاذرى: المصدر السابق جـ٣ ص٥١٤، الطبرى: جـ٦ ص٣٩٦.

ومهما يكن من أمر فقد تم فتح إقليم خوارزم على يد الفاتح العربى الشهير قتيبة بن مسلم عام ٩٣ هـ (٧١١م) بعد أن تم الاتفاق بينه وبين ملك خوارزم- الذى كان ضعيفاً- على شروط[١] أهمها أن يسلم إليه أخاه، وكان أخوه هذا واسمه "خرزاد" متسلطاً عليه، فبعث قتيبة أخاه عبد الرحمن بن مسلم إلى خرزاد وقاتله، فقتله وظفر بأربعة آلاف أسير قتلهم جميعاً، وسلم البلاد إلى خوارزمشاه، لكن أهل مملكته استضعفوه، ووثبوا عليه فقتلوه، فولى قتيبة أخاه عبيد الله بن مسلم إقليم خوارزم[٢]، ومنذ ذلك الحين أصبحت خوارزم ولاية من ولايات الدولة الإسلامية الكبرى فى المشرق الإسلامى على العهد الأموى والعباسى إلى أن تطرق الضعف إلى الخلفاء العباسيين فى بغداد وحاولت هذه الولايات الاستقلال عن سلطان الخلافة،وقامت فى كل ولاية دولة أو إمارة يحكمها ملوك أو أمراء يعترفون اسمياً بالخليفة العباسى، وبدأ أول انقسام للدولة الإسلامية فى المشرق على يد الطاهريين

---

(١) ذكر الطبرى (جـ٦ ص٤٦٨) أن قتيبة "صالح ملك خوارزم صلحاً مجدداً، وأن ملك خوارزم كان ضعيفاً، فغلبه أخوه خرزاد على أمره، وخرزاد أصغر منه. فكتب خوارزم شاه إلى قتيبة "يدعوه إلى أرضه، يريد أن يسلمها إليه،وبعث بمفاتيح مدائن خوارزم، ثلاثة مفاتيح من ذهب واشترط عليه أن يدفع إليه أخاه".

(٢) البلاذرى: المصدر السابق جـ٣ ص٥١٨؛ الطبرى: نفسه ص ٤٦٩، ص٤٧٠ ؛ البلخى: البدء والتاريخ جـ٦ ص٣٨ (نشر كلمان هوار- باريس ١٨٩٩م – دار صادر بيروت)؛ الكرديزى: زين الأخبار جـ١ ص ١٧٩ (ط أولى – القاهرة- ١٤٠٢هـ/١٩٨٢).

ثـم جـاء الصفاريون والسامانيون والزياريون والخانيون والغزنويون وكونوا دولا مستقلة،وسار الخوارزميون على منوالهم وكونوا دولة خوارزم[١].

---

(١) الدولـة الطاهرية (٢٠٥-٢٥٩هـ/ ٨٢٠-٨٧٣م) أسسها طاهر بن الحسين واتخـذ نيسابور عاصمة له، وقد سقطت هذه الدولة على يد الصفاريين. الدولة الصفارية (٢٤٧-٢٩٨هـ/ ٦٨١-٩١٠م) أسسها يعقوب بن الليث الصفار. وقـد شملت دولته معظم أقاليم إيران (سيستان، كرمان، مكران، فارس، الرى، السـند، طبرسـتان، الأهـواز، أذربيجان، قزوين، خراسان) وقد قضى عليها السامانيون سنة ٢٩٨هـ/ ٩١٠م.

الدولة السامانية (٢٧١-٣٨٩هـ/٨٧٣-٩٩٩م) أسسها أبناء أسد بن سامان فى بلاد ما وراء النهر، وانقرضت هذه الدولة على يد محمود الغزنوى.

==

== الدولـة الزيارية (٣١٦-٤٣٣هـ/ ٩٢٨-١٠٤١م) أسسها مرداويح بن زيار الديـلمى فى طبرسـتان وجـرجان ومد أطراف دولته جنوباً وغرباً حتى الرى وأصـفهان وهمـذان وأرمينية وأذربيجان وخوزستان، وكان أصفهان حاضرتهم وسقطت هذه الدولة نهائياً على يد السلاجقة.

الدولـة الخانية (٣٢٠-٦٠٩هـ/ ٩٣٢-١٢١٢م) دولة تركية مسلمة ضمت رقعـة مـن بـلاد مـا وراء الـنهر وتركستان، وانتهت هذه الدولة على يد الخوارزمشاهيين.

الدولـة الغـزنوية (٣٦٦-٥٥٥هـ/ ٩٧٦-١١٦٠م) أسسها سكتكين أحد غـلمان البكـتين أمـير غـزنة، وتوسعت هذه الدولة شرقاً وجنوباً فى مكران وسيسـتان وخراسـان ومـا وراء النهر وبلغت أقصى اتساعها على يد محمود الغـزنوى بن سكبتكين، وقد سقطت هذه الدولة بعد ضعفها على يد الغور،وقد كان لدولة المأمونيين فى خوارزم علاقات متنوعة مع تلك الدول. انظر:

الطـبرى: المصـدر السابق جـ٨ ص ٥٩٤، جـ٩ ص ٥٠٧، ٥١٤؛ العتبى: تـاريخ اليمـينى جـ١ ق٢. ص ٣٤٧-٣٥٠ (ط القاهـرة ١٢٨٦هـ)؛

سكان خوارزم:

يعتبر إقليم خوارزم من أهم الثغور الإسلامية التى تحمى الحدود الإسلامية من هجوم القبائل التركية المتبدية، فقد كانت هذه القبائل تقوم بالغارات المستمرة على البلاد الإسلامية خاصة من ناحية الشرق والشمال الشرقى وباتجاه الغرب حتى نهر إتل (الفولجا) شمال بحر قزوين[١]، ولم يتوقف هجوم هذه القبائل وعدائها للإسلام والحضارة الإسلامية إلا فى وقت متأخر حينما خرجت جحافل المغول وبدأت هجومها الكاسح لبلاد ما وراء النهر بعد أن عبروا نهر سيحون، وكانوا اشد ضراوة وعنفاً من القبائل التركية فى تدمير المدن الإسلامية وقتل وتشريد أهلها، وقد ذكر القزوينى[٢] نقلاً عن الزمخشرى "أن خوارزم قد اكتنفها أهل

الكرديزى: زين الأخبار جـ١ ص ١٣٢، ١٥٩، ٢١٤، ٢٣٣-٢٢٥، ٢٣١-٢٣٣ (ترجمه عن الفارسية عفاف السيد زيدان ط أولى، دار الطباعة المحمدية الأزهرية، القاهرة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)؛ ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ٦ ص٤٣، ١٩٨، جـ٧ ص١٩٧، جـ٨ ص٣٠، جـ٩ ص٧٠؛ ابن الوردى: تتمة المختصر فى أخبار البشر جـ١ ص٤٧٥ (القاهرة ١٢٨٥هـ)؛ خواندمير: دستور الوزراء ص٢٣٤ (القاهرة ١٩٨٠م)؛ إقبال (عباس الأشتيانى): تاريخ إيران بعد الإسلام ص١٢٧-١٢٨ (نقله عن الفارسية د. محمد علاء الدين منصور، ط دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)؛ الساداتى: تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم جـ١ ص٧٩ (ط مكتبة الآداب، القاهرة ١٩٥٨م).

(١) ابن حوقل: صورة الأرض ص ٤٨٠-٤٨١.

(٢) آثار البلاد وأخبار العباد، د ٥٢٥.

الشـــرك واضافت بها قبائل الترك، فغزو أهلها دائم، والقتال فيما بينهم قائم".

وقـــد وصـــف الجغرافيون والرحالة المسلمون سكان خوارزم بالشـــدة والبأس فى الحرب، يقول ابن حوقل[١] عن أهل خوارزم "فأمـــا بأســـهم وشـــوكتهم فليس فى الإسلام ناحية أكثر حظاً فى الجهـــاد مـــنهم". وسكان خوارزم يرجعون فى الأصل إلى الفرس والـــترك،وقد اعتبر المؤرخون والجغرافيون نهر جيحون هو الحد الفاصـــل بيـــن الفـــرس والترك، فما يقع عن يمينه (شرقيه) كان ســـكانه تـــرك هيطلييـــن، ومـــا يقع عن يسارد (غربيه) فسكانه إيرانـــيون (فـــرس)، وقـــد امتزجت عناصر السكان بخوارزم فى صـــفاتهم وعـــاداتهم وســـموا كمـــا ذكر هيرودوت واسترابون، وبلينيوس بالخوارزمية نسبة إلى خوارزم[٢].

وهـــناك إشـــارات فى كتب الجغرافيا الإسلامية عن المجتمع الخوارزمى وأن طبقة التجار تأتى بعد الطبقة الخاصة طبقة الحكام والوزراء (رجال الدولة) وهى أثرى طبقات المجتمع، فقد ذكر ابن حوقـــل أن تجار خوارزم كانوا "أكثر أهل خراسان انتشاراً وسفراً ولـــيس هـــناك مدينة إلا وفيها من أهل خوارزم جمع كثير، وفى

---

(١) ابن حوقل: المصدر الـــابق ص ٤٥٧.

(٢) البـــتانى: دائرة المعارف م ٧ ص ٤٩٤ (ط بيروت، ١٨٨٣م).

موضـــع آخـــر ذكر ابن حوقل[١] أيضاً أن"عامة يسارهم من متاجرة الأتراك"،ويوصف سكان خوارزم بالطول والضخامة ببشرة بيضـــاء تميل إلى اللون الأحمر "وهم أهل ضيافة ونهمة فى الأكل وزيـــنهم القـــراطق والقلانـــس المعوجـــة ولهم فى تعويجها زى ورسم[٢]، وأهل خوارزم يرجعون فى أخلاقهم إلى رغبة فى الخير واســـتجابة لمـــن دعـــاهم اليه، وهم أهل كرم وجود وكان الغالب عليهم "بذل أموالهم فى الرباطات، وعمارة الطرق، والوقوف على سبل الجهاد ووجوه الخير وعقد القناطر"[٣].

وقد شبه المقدسى[٤] خوارزم فى الشرق الإسلامى كسلجماسة فـــى الغرب الإسلامى وطباع أهلها كطباع البربر، يقول محمد ابن نصر بن عنين الدمشقى:

خـــوارزم عـــندى خـــير الب ـــ فـــلا اقلعـــت ســـحبها المغ
فطوبـــى لوجـــه أمرى صد ـــ ـــة أوجـــه فتيانها المشرقة

وكانـــت طبقة العلماء والفقهاء والأدباء من الطبقات المميزة فـــى المجتمع الخوارزمى، وبالنظر لما أوردته المصادر المعاصرة لدولة المأمونيين نجد أن عدداً كبيراً من سكان خوارزم كانوا من

---

(١) صورة الأرض ص ٤٦٤-٤٦٧، ص ٤٨١.
(٢) ابن حوقل، نفسه ص ٤٨١.؟
(٣) ابن حوقل ص ٤٦٦.
(٤) المصدر السابق ص ٢٢٨.
(٥) ياقوت: معجم البلدان، جـ٢ ص٣٩٧.

أجلة العلماء والفقهاء المسلمين. فمنذ الفتح الإسلامى لهذه البلاد بدأ يظهر فى الأفق أسماء لأفاضل خوارزميين فاقوا غيرهم فى الأقاليم الإسلامية الأخرى.

وقد اشتهر من هؤلاء محمد بن موسى الخوارزمى العالم الرياضى الجليل (ت٢٣٥هـ/ ٨٤٩م)، وفى مجال الحديث النبوى الشريف نذكر أعين الخوارزمى وهو أبو يحيى بن عبيد الله العقيلى الخوارزمى ذكره ابن حجر العسقلانى وقال أنه روى عن أنس وهو من رجال الطبقة الثالثة، وداود بن رشيد الهاشمى أبو الفضل الخوارزمى روى عنه الإمام مسلم، وأبو داود ، وابن ماجة والبخارى، كما روى عنه النسائى (ت٢٣٩هـ/٨٥٣م)، والحافظ البرقانى (ت٤٢٥هـ١٠٣٤م)، ومن أجلة علماء خوارزم أيضا البيرونى (ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م) العالم الموسوعى، وغيرهم كثير[١].

وكانت طبقة العلماء والأدباء تنال حظاً وافراً من الأموال سواء كانت فى صورة رواتب أو منح من قبل الحكام الخوارزمشاهيين أو هبات وعطايا من أفراد الدولة ووزرائها وكبار رجال الدولة، وكانت قصور ودور هؤلاء مفتحة الأبواب فى الليل والنهار لرجال العلم والأدب الخوارزميين أو القادمين من

---

(١) سنعرض لهؤلاء العلماء والمحدثين والأدباء خلال صفحات الفصل الخاص بالحياة الثقافية فى دولة المأمونيين بخوارزم.

الأقالـــيم الإسلامية الأخرى، حيث كان يعد لهم النزل اللائق بهم والإقامة الكريمة يشملها الحب والعطف والتقدير[١].

ومـــن أجـــل ذلك سعى طلاب العلم الخوارزميين إلى تحصيل العلـــم، واهتم الجميع بالرحلات العلمية إلى البلدان الإسلامية مما جعـــل بعـــض الجغرافيين المسلمين ومنهم المقدسى[٢] الذى ذكر مؤلفـــه "أحســـن التقاســـيم" أن "أهل خوارزم كانوا علماء وأدباء وقراء، ليس مثلهم بالعراق"، وذكر فى موضع آخر بأن "... اقل إمام فى الفقه والأدب والقرآن لقيته إلا وله تلميذ خوارزمى"..

وإلـــى جانب الطبقتين السابقتين كانت طبقة الزراع والصناع والحرفييـــن، وكـــان هـــؤلاء يعملـــون بنشـــاط منقطع النظير فى مـــزارعهم ودور صـــناعتهم حتى يحصلوا على المال الوفير ولا ســـيما وأن ما ينتجونه من سلع متعددة ازداد الطلب عليها خاصة فـــى الـــبلدان التركـــية الـــتى تحيط بالحدود الخوارزمية والأقاليم الإسلامية الأخرى، وسنتناول الحديث عن ذلك بالتفصيل فى الفصل الخاص بالحياة الاقتصادية فى خوارزم.

---

(١) النظامى العروضى. جهار مقالة ص ١٧٠.

(٢) ص ٢٢٧، ٢٢٩.

الفصل الأول
حالة خوارزم قبيل قيام دولة المأمونيين

كانت أقاليم آسيا الوسطى (بلاد ما وراء النهر وخوارزم) قبل قيام دولة الطاهريين تتبع إدارياً والى خراسان، على آسيا أن هذا الوالى مفوض من قبل الخلافة العباسية[١]، وبعد قيام دولة الطاهريين فى المشرق صار إقليم خراسان أهم الولايات التابعة لسلطانهم، واتخذوا من أكبر مدنها نيسابور عاصمة لدولتهم[٢].

أما عن بقية أقاليم المشرق كطبرستان،وجرجان، وأذربيجان، وبلاد ما وراء النهر وخوارزم وغيرها، فقد كانت تابعة لإشراف الطاهريين[٣].

وقد حرصت الدولة الطاهرية منذ البداية على وضع خطة تضمن بها الهيمنة على إدارة أقاليم المشرق، فعهدت بولاية هذه الأقاليم إلى أبناء البيت الطاهرى[٤]، ومن ولاة الطاهريين على خوارزم منصور بن طلحة بن عبد الله بن طاهر، وكانت ولايته عليها سنة ٢٤٨هـ (٨٦٢م)، كما تولى حكم خوارزم من أبناء

---

(١) تاريخ الطبرى جـ٨ ص٥٩٤.

(٢) الطبرى جـ٨ ص٥٩٤؛ الكرديزى: زين الأخبار جـ١ ص٢١٤.

(٣) الطبرى: جـ٩ ص٢٧٢، ٢٧٥، ٣٨٢.

(٤) فتحى أبو سيف: المشرق الإسلامى بين التبعية والاستقلال (الطاهريون) ص ١٩٣)(ط القاهرة ١٩٧٨م).

البيت الطاهرى أحمد بن محمد بن طاهر الثانى عام ٢٦٧هـ (٨٨٠م) [١].

غير أنه بعد أن تطرق الضعف إلى الحكام الطاهريين لم تستطع دولتهم مقاومة هجمات أمراء الدولة الصفارية، فقد استطاع يعقوب بن الليث الصفار أن يقضى على نفوذهم فى خراسان، كما ضم الصفاريون أقاليم فارس، وأصفهان، وسجستان وكرمان والسند إلى حوزتهم، بل تطلعوا إلى ضم أقاليم ما وراء النهر وخوارزم إلى ممتلكاتهم.

خوارزم على عهد السامانيين:

---

(١) ابن الأثير: الكامل جـ٦ ص١٢؛ تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة جـ١ ص٢٧٠؛ زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ص ٣١٦.

ومن ولاة خوارزم عبد الله بن أشكام، لكن المصادر لم تشر إلى تاريخ ولايته، كما تولى بعده المنصور عام ٣٢٢هـ ولم تشر المصادر أيضاً هل المنصور هذا ابن عبد الله أم غير ذلك، وخلال الفترة من عام ٣٤٠هـ إلى عام ٣٨٥هـ كانت خوارزم تحت سيطرة الأمراء المحليين فقد تولى أمرها أبو سعيد أحمد بن محمد خوارزمشاه وابنه أبو عبد الله محمد، وقد استطاع مأمون بن محمد والى جرجانية وكان فى مستهل أمره عاملاً لبنى سامان أن ينتزع السلطة من يد عبد الله محمد خوارزمشاه ويعلن قيام دولة المأمونيين. النظامى العروضى السمرقندى: جهار مقالة ص١٦٨-١٦٩ "نقله من الفارسية إلى العربية عبد الوهاب عزام" يحيى الخشاب ط أولى. القاهرة ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م)؛ زامباور ص٣١٦

تولـــى آل سامان بلاد ما وراء النهر على عهد الخليفة المـــأمون العباسى، واقرهم طاهر بن الحسين على ذلك، وأصبحوا نوابـــاً عن الطاهريين فى حكم هذه النواحى، وبعد أن ضعف أمر الطاهريين، وسقطت دولتهم على يد الصفاريين، تطلع الصفاريون إلـــى ضم خوارزم إلى حوزتهم، لكن السامانيين كانوا اسبق منهم وأصبحت خوارزم من ولايات الدولة السامانية.

وعلـــى أية حال كانت خوارزم منذ الفتح الإسلامى ولاية شبه مستقلة تحكمها أسرة محلية، هى الأسرة الخوارزمشاهية الأولى الـــتى مـــنها "شاوشفر" المعاصر للفاتح العربى قتيبة بن مسلم، واســـتمر أمـــراء هـــذه الأســـرة يحكمون خوارزم بجانب الولاة المفوضـــين مـــن قبل الخلافة العباسية، حتى استطاع مأمون بن محمـــد أمير جرجانية شمال إقليم خوارزم- كما سبق- أن يقضى علـــى آخر أمرائها أبو سعيد عبد الله محمد ويستولى على البلاد الـــتى تقـــع إلى الجنوب، ويوحد شطرى خوارزم ويعلن قيام دولة المأمونيـــين، ويتلقـــب بلقـــبى خوارزمشاه، وبذلك يكون مؤسس الأســـرة الخوارزمشـــاهية الثانية،وحاكم أول دولة خوارزمشاهية شمل نفوذها بلاد خوارزم[١].

---

(١) انظر تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة جـــ٢ ص٣٧٣ وما بعدها، وانظر أيضاً: دائرة المعارف الإسلامية (مادة خوارزم).

وسنشير - بالتفصيل - إلى العلاقات السياسية التى كانت بيـــن المأمونيين والسامانيين، والآثار والنتائج المترتبة على هذه العلاقات خلال الصراعات السياسية والعسكرية التى قامت بين دول آسيا الوسطى المعاصرة لدولة المأمونيين بخوارزم.

وتجـــدر الإشـــارة إلى أن خوارزم قبل قيام دولة المأمونيين وحتى نهاية حكم هذه الأسرة ارتبطت بعلاقات سياسية واقتصادية وثقافـــية مـــع القـــبائل والعناصـــر التركية والمتتركة فى منطقة تركســـتان، وأراضى تركستان تقع فى أواسط قارة آسيا[١]، حيث تنتشـــر مراعى حشائش الأستبس، ويعطينا رشيد الدين الهمذانى وصـــفاً وتحديـــداً لـــبلاد تركستان وسكانها من الترك، فيقول إن "الأقـــوام الموسومين باسم الترك مقامهم ومسكنهم فى البلاد التى طولها وعرضها من ابتداء ماء جيحون وسيحون إلى انتهاء حدود بلاد الشرق، وانتهاء صحراء القبجاق (القبشاق) إلى غاية نواحى جورجية (جورجيا) والخطا، وفى تلك المواضع هم يسكنون الجبال والوهاد والآجام..."[٢]. وعلى ذلك فإن بلاد الترك "تركستان" تمتد من منابع نهر إتل (الفولجا الآن) وبحر الخزر (قزوين الآن) غرباً

---

(١) ابن حوقل: المسالك والممالك ص٣٩٠-٣٩١؛ المقدسى: احسن التقاسيم ص ٢١٤، ص٢٢٧؛ ياقوت: جـ٢ ص٢٣-٢٥.

(٢) جـــامع التواريخ، المجلد الثانى، الجزء الأول ص٢١٢ (ترجمة من صادق نشأت، محمـــد موســـى هنداوى، فؤاد عبد المعطى الصياد، طبع وزارة الثقافة والإرشاد القومى، القاهرة، بدون تاريخ).

إلـــى بـــلاد الصين شرقاً، ومن سيبريا ومنغوليا شمالاً إلى حدود إيران وأفغانستان جنوباً[١].

ومـــن القـــبائل التركية[٢]، ذات الشأن فى العلاقات مع دولة خوارزم الأولى (المأمونيين) نذكر:

---

(١) تنقســـم تركستان اليوم إلى: تركستان الصينية (الشرقية)، وتركستان الروسية (الغربية)، (انظر: التعليق حاشية ٢١) ص١٩ من كتاب تاريخ بخارى للنرشخى لســـترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص٥٢٥، شيرين عبد النعيم حسنين: مسلمو تركستان والغزو المغولى ص١١ (ط القاهرة ١٩٨٥م).

(٢) مـــن المؤلفـــات الـــتى تناولت تاريخ الترك: كتاب تاريخ الطبرى؛ والكامل فى الـــتاريخ لابـــن الأثـــير؛ وكتب المسالك والممالك لابن خرداذبة؛ وابن حوقل والاصـــطخرى؛ ومختصر كتاب البلدان لابن الفقيه؛ ورحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك؛ ورحلة مسعر بن مهلهل التى ذكرها ياقوت فى كتابه معجم البلدان وأخذ مـــنها، ونذكر من المؤلفات الفارسية التى تناولت القبائل التركية وأحوالها كتاب الكرديـــزى، "زيـــن الأخبار" فقد افرد فيه الملف "الباب السابع عشر" فى ذكر أحوال وأنساب الترك وتتبع نشاطهم الاقتصادى. والكتاب الثانى "حدود العالم" وهـــو مجهـــول المؤلف كتب سنة ٣٧٢هـــ (٩٨٢-٩٨٣م) اكتشف مخطوطة "تومانســـكى" وترجمه إلى الإنجليزية وعلق عليه المستشرق "مينورسكى" والثالث (ديـــوان لغـــات الترك) لمحمود الكاشغرى، ويأتى بعد هذه الكتب الثلاثة كتاب "جـــامع التواريخ" لرشيد الدين الهمذانى، وقد استقت الأبحاث الواردة فى دائرة المعـــارف الإسلامية فى هذا الشأن جل معلوماتها من المصادر التى ذكرناها، ومن المراجع التى اعتمدت- أيضاً- على المصادر الإسلامية كتاب المستشرق الروسى بارتولد الموسوم بـــ "تاريخ الترك فى آسيا الوسطى" وقد ذكر فيه ص١-٢) أن أحـــوال الـــترك فى شـــرق آسيا خاصة فى إقليم منغوليا إنما تعرف من المصادر الصـــينية، أمـــا الترك الذين هاجروا إلى الجزء الغربى من آسيا الوسطى وتأثروا بالحضارة الإسلامية فإن أحوالهم إنما تعرف عن المصادر العربية والفارسية.

١ - التغزغر:

تعتبر هذه القبائل من العناصر التركية الكبرى شرقى تركستان، وأطلق عليهم "عرب الترك" وتذكرهم المصادر الصينية باسم "الأويغبور" وتمتد بلادهم من حدود أراضى قبائل القارلوق حتى بلاد الصين، وارض القارلوق الترك تقع شرقى إقليم فرغانة[١]، وتؤكد المصادر الإسلامية، ونقوش أورخون أن خانات الترك ينخدرون غالباً من قبائل الغز، أو من قبائل التغزغز[٢]، وكان لملك التغزغز خيمة عظيمة من الذهب تقام أعلى قصرد "ترى من خمسة فراسخ"[٣].

وتقطن قبائل الغزغز رقعة واسعة من أراضى آسيا الوسطى، حددتها المصادر الإسلامية بمسيرة عشرين يوماً، وهم قبيل يهتمون بتربية الخيول وقطعان الأغنام والماشية، ويصنعون ملابسهم من القطن واللبود وكان أمراؤهم يتخذون من مدينة

---

(١) ابن خرداذبة: المسالك والممالك ص ٣٩-٤٠؛ تاريخ اليعقوبى جـ١ ص١٧٨-١٧٩؛ الطبرى: جـ٨ ص٥٨٠؛ ابن حوقل: صورة الأرض ص١٥ (ط ثانية، ليدن، بريل، ١٩٣٨). الكرديزى: المصدر السابق جـ٢ ص٤٤٣؛ بارتولد: المرجع السابق ص٥٠.

(٢) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص٢٩٧.

(٣) ابن خرداذبة: المصدر السابق ص٤٠.

بنجيكث (بيش بالق) [١] مصيفاً لأنها امتازت باعتدال جوها وغزارة مياهها وكثرة بساتينها[٢].

ويكثر المسك فى بلاد الترك التغزغز، وفيها الثعالب السود والحمر والمبرقطة، وفيها فرو السنجاب والسمور والقاقم[٣] والفنك[٤] وفيها أيضاً السبج[٥] والختو[٦].

---

(١) أوبش بلق، كلمة تركية معناها خمس مدن، وبالصينية "بى تنغ" أى مدينة الشمال وورد ذكرها فى المصنفات الإسلامية باسم "بنجكث" وترجمتها بالفارسية المدن الخمس وهى قصبة اشروسنة (ابن حوقل: المسالك والممالك ص٣٧٩؛ المقدسى: أحسن التقاسيم ص٢٢١؛ دائرة المعارف الإسلامية جـ٩ ص٢٤-٢٥)؛ وانظر أيضاً:

Hudud Al-Alam, p. 94.

(٢) ابن حوقل: ص ٣٧٩؛ المقدسى: ص ٢٢١-٢٢٢.

(٣) القاقم: السنور الأبيض (أحسن التقاسيم، ص٢٥٤ حاشية ٨).

(٤) الفنك: حيوان من جنس الثعالب وهو أنواع (أحسن التقاسيم ص٢٥٤ حاشية ٩.

(٥) هو من الأحجار الكريمة، لكنه ليس من الجواهر الثمينة، كان يستخدم فى الاحتكال، ويسمى بالفارسية "شبه" وهو حجر أسود تأخذ النار فيه وقال البيرونى: "سمعتُ أنه يشتعل إذا حمته الشمس وتفوح منه رائحة النفط"، انظر: الجماهر فى معرفة الجواهر ص١٩٩.

(٦) الختو: ذكره البيرونى تحت الجواهر والأحجار الكريمة ويرجع أصله إلى الحيوان ولذلك سماه بالختو الحيوانى وقال: أن له علاقة بحجر الباذزهر حيث يستخدم كعلاج ضد السم، وذكر التيفاشى أن الباذزهر المعدنى وأجوده الأصفر الذى فيه طرائق خضر "وينفع من لدغة العقرب". (انظر الجماهر فى معرفة الجواهر للبيرونى ص ٢٠٠، ٢٠٨، أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار ص١١٧، ١٢٢).

٢- القرلق (الخرلخ - الخلخ):

تقع أراضى قبائل القرلقية الترك- كما سبق- شرقى فرغانة بمسيرة عشرين يوماً غربى قبائل التغزغز[١]، وهم من العناصر التركية الشرسة وتصفهم المصادر بالقوة والبأس، وقد استطاعوا التوسع فى أراضى آسيا الوسطى على حساب القبائل الأخرى فطاردوا هم وقبائل الغزو الكيماكية فلول قبائل بجنك (بجناق - بشناق) وبجفرد- (باشغرد) ناحية الغرب للسيطرة على بحيرة خوارزم وما حولها من أراضى[٢].

٣- كيماك (كيمه ك)

قبائل كيماك من القبائل التركية التى ذكرتها المصادر الإسلامية (عربية/ فارسية) والصينية، وكانت تعيش على نهر إيرتش فى الغابات والوديان والصحارى وكلهم ملاك بقر وغنم، وتسقط الثلوج بكثرة على بلادهم،ويشير الكرديزى[٣] إلى ارتفاع هذه الثلوج كان يبلغ مقدار بوصة فوق سطح الأرض، ومن هؤلاء

---

(١) ابن خرداذبة: المصدر السابق ص٣٨، ص٤٠، ابن الفقيه: المصدر السابق. ص ٣٩٧؛ المسعودى: التنبيه والأشراف ص٧٢؛ ابن حوقل: ص ٣٣٥، ٣٣٩؛ الكرديزى: جـ٢ ص٤٣٥-٤٣٦.

(٢) المسعودى: المصدر السابق ص١٥٣.

(٣) زين الأخبار، جـ٢ ص٤٣٩.

الكيماك ينحدر القبجاق (القفجاق) الذين شغلوا فيما بعد مناطق شاسعة فى آسيا الوسطى[١].

٤- القيرغيز:

من الأقوام التركية التى ذكرت فى نقوش أورجون. وتشير المصادر الصينية إلى أن موطن القيرغيز الأول كان فى حوض نهر ينيسى الأعلى، ويمتازون بشعرهم الأشقر وعيونهم الزرقاء، وقد أيدت المصادر ذلك، مما أدى إلى الظن بوجود قرابة بين القيرغيز والصقالبة[٢].

٥- الغز[٣] (الأغوز)

كان الغز أحد العشائر التى كونت دولة الترك فى القرن السادس الميلادى، وبعد انهيارها فى القرن الثامن (الأول الهجرى) تفرقت قبائل الغز فى اتجاهات مختلفة،وذكر جغرافيو العرب أن بعض العشائر اتجهت إلى الأراضى المتاخمة للبلاد الإسلامية

---

(١) ابن خرداذبة: المصدر السابق ص٣٩. اليعقوبى: جـ١ ص١٧٨؛ الاصطخرى: مسالك الممالك (ط ليدن) ص٩؛ المقدسى: ص٢١٩؛ بارتولد: المرجع السابق ص٥٩.

(٢) بارتولد: المرجع السابق، ص ٣٠-٣١.

(٣) عن القبائل الغزية انظر: ابن خرداذبة ص٤٠؛ ابن الفقيه ص ٢٩٧؛ المسعودى ص ٥٣، ٧٢؛ رحلة ابن فضلان ص٩؛ ابن حوقل: ص٣٩١-٣٩٢؛ المقدسى ص ٢١٩؛ ياقوت: جـ٣ ص٤٤٠؛ القزوينى: آثار البلاد ص ٥٥٨، ص٥٨٧

وانتشـــروا بين بحر الخزر إلى أواسط مجرى نهر سيحون حيث اعتنقوا الإسلام فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى)، والسلاجقة أحد فروع الغز[١].

وكـــان عـــدد كبير منهم يشتغلون بالتجارة، وتجارتهم الخيول والأبقار والأغنام والسلاح، وليس لهم دور يسكنونها، إنما سكناهم الخـــيام، وحيـــثما وصـــلوا من بلاد الإسلام عاثوا ونهبوا وعادوا مســـرعين إلـــى بلادهـــم[٢]، وكان للقبائل الغزية دور اساسى فى تكويـــن بعـــض الشـــعوب مثل التركمان والأذربيجان، والأتراك، والقراقلباق وغيرها[٣].

٦- القبجاق (القفجاق):

وأطلق عليهم العرب أيضاً اسم الخفجاخ أو القبشاق، وأطلق علـــيهم الـــروس اسم البولوفتسى، أما الأوربيون الغربيون فكانوا يطلقـــون علـــيهم اسم "قومان"، وكان القبجاق يقطنون حول نهر ارتـــيش ثـــم تقدموا من نهر أينش إلى الجنوب الغربى حتى نهر سيحون، واصبحوا جيراناً لدولة خوارزم، كما تقدموا ناحية أوربا الشرقية[٤].

---

(١) بارتولد: ص٥٠؛ زبيدة عطا: الترك فى العصور الوسطى، ص٩.

(٢) Hudud Al- Alam, p. 100.

(٣) أبرار كريم الله: المرجع السابق ص١٢.

(٤) ابـــن الفقيه: ص٢٩٣؛ الكرديزى: جـــ٢ ص٤٦٢؛ زبيدة عطا: ص٨. أبرار كريم الله: ص ١٢٤. ص١٣٥.

وينحدر القفجاق من قبائل الكيماك التركية، ولم يظهروا كعنصر فعال فى تاريخ آسيا الوسطى وشرق أوربا إلا ابتداء من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) حيث تردد ذكرهم فى المصادر الإسلامية والبيزنطية، وكونوا أسرة حاكمة فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) هاجمت الأراضى الإسلامية إلى أن أسلموا عام ٤٣٥هـ (١٠٤٣م) نتيجة لصلتهم بخوارزم[١].

٧- الخزر:

من القبائل التركية التى ظهرت على مسرح التاريخ فى أوربا الشرقية فى القرن الرابع الميلادى، واستطاعت تكوين دولة لهم فى القرن السابع الميلادى[٢].

وتشير المصادر العربية إلى أن بلاد الخزر تقع على جانبى نهر اتل (الفولجا الآن)، ويصف الكرديزى بلادهم باتساعها "تكثر فيها الزروع والبساتين، وتتوفر النعم، ويكثر العسل، ومن هناك يأتون بالشمع الجيد"[٣].

٨- برطاس (برداس):

---

(١) زبيدة عطا: ص ٨.

(٢) أبرار كريم الله: ص١٩١.

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض ص١٥؛ زين الأخبار جـ٢ ص٤٦٣، ٤٦٥.

تقع بلادهم بين دولة خوارزم ومملكة الخزر، ولهم نهر باسمهم (نهر برطاس) تعبره السفن بالتجارة ويصب فى بحر الخزر، وكانوا يستوردون سلعهم وأمتعتهم من بلاد خوارزم، وكانت تقوم -دائماً- الحروب المتصلة بين البرطاسين والبلغار والبجناك بسبب الجوار(١).

٩- البلغار:

ذكرتهم المصادر الإسلامية أيضاً باسم (البلكار) وبرغر، وهم ليسوا تركا خلصا فاصلهم يرجع إلى الفن Finuish مختلطين بالترك، وقد أقاموا فى المنطقة التى تقع بين نهر اتل ونهر كاما Kama المتفرع منه، وهاجرت منهم أقوام إلى بحر نيطس (البحر الأسود الآن)، والبلغار الذين استقروا بين اتل وكاما كانوا بيض الوجوه، لذلك أطلق عليهم "البلغار البيض"(٢)، وكانت قوافلهم التجارية على اتصال مستمر ودائب ببلاد خوارزم، وذكر الكرديزى أن البلغار "خمسمائة ألف بيت وأكثرهم مسلمون يتبادلون التجارات مع الخزر والروس"(٣).

١٠- بجنك (بجناك - بشناق)

---

(١) ابن حوقل: صورة الأرض ص٣٩٦-٣٩٨؛ المسعودى ص٥٥ ؛ الكرديزى: ص٤٦٥-٤٦٦.

(٢) رحلة ابن فضلان: صفحات متفرقة؛ البيرونى: الآثار الباقية ص٤١؛ ياقوت: جـ١ ص٣٨٥؛ زبيدة عطا: ص ٦-٧؛ ابرار كريم الله: ص ١١٧-١١٨.

(٣) زين الأخبار جـ٢ ص٤٦٧-٤٦٨.

كان موطنهم الأصلى استبس وسط آسيا، ثم اتجهوا إلى جنوب روسيا وبعد ذلك اتجهوا إلى بلاد المجر، ويرجع سبب هجرتهم إلى ضغط قبائل الغز والقرلقية والكيمائية عليهم فاتجهوا إلى ناحية الغرب، وذكر الكرديزى أنهم أرباب مال وأصحاب دواب وأغنام ولديهم أسلحة كثيرة ويمتلكون الأوانى الذهبية والفضية خلاف ما ذكره ابن فضلان حيث ذكر أنهم فقراء، وقارن بينهم وبين الغزية الذين يملكون الأموال والسوائم[1].

مما سبق عرضه وضح لنا حالة خوارزم قبيل قيام دولة المأمونيين، وأنها كانت خلال ذلك العهد ولاية من الولايات الإسلامية التى حاول حكامها الاستقلال بشئونها والتحلل من أى سيطرة تفرض عليها من الدول الكبرى التى تحيط بها، وسيتضح ذلك أكثر عندما نتناول الحالة السياسية لدولة المأمونيين ومحاولتهم تأسيس دولة مستقلة فى منطقة آسيا الوسطى.

كما عرضنا أهم القبائل التركية والمتتركة وأسمائها ومواقعها للتعرف عليها خاصة بعلاقات سياسية واقتصادية وثقافية مع دولة المأمونيين قبل أن نتناول ذلك بالتفصيل فى الفصل التالى.

---

(١) رحلة ابن فضلان ص٧؛ المسعودي: ص١٥٣؛ الكرديزى: زين الأخبار جـ٢ ص٤٦٢؛ زبيدة عطا: ص ٨؛ انظر أيضاً:

Hudud Al- Alam, p. 160.

الفصل الثانى
الحياة السياسية لدولة المأمونيين

- **قيام دولة المأمونيين:**

كانت خوارزم من الأقاليم المستقلة منذ بداية الفتح الإسلامى ومن قبله، وقد تلقب حكامها قديماً- كما أشرنا- بلقب خوارزمشاه (خوارزمشاه) حتى عصر متأخر، وهى مقر للملوك العظام، وذكر البيهقى[١] أن خوارزم "كان يحكمها دائماً ملك مستقل، ولم تكن هذه الولاية جزءاً من خراسان كختلان[٢]، وصغانيان[٣]، وفى أيام المعاذيين[٤]، والطاهريين حين تطرق بعض الضعف إلى الخلافة

---

(١) تاريخ البيهقى ص٧٣١.

(٢) ختل أو ختلان: إقليم على الضفة اليمنى (الشرقية) لنهر جيحون ويقع بين نهرى وخشاب وجرياب (منابع جيحون)، وهو إقليم أكثره جبال، إلا أن مدنه عامرة فيها أسواق وبساتين ومن مدنه: كارتبك، وهلبك، وسكندره، ومنك، وأندريجا راغ وفارغر. الإدريسى: نزهة المشتاق جـ١ ص٤٨٧-٤٨٨؛ ياقوت: جـ٢ ص٣٤٦.

(٣) صغانيان: ولاية عظيمة ببلاد ما وراء النهر، كثيرة المبانى والخيرات، تقع على أعالى نهر عرف باسمها (نهر الصغانيان)، ويقال له - أيضاً - نهر زامل، ولها قلعة ومساجد وأسواق،وأجل مدن الصغانيان: ترمذ، ونويدة، وجرمنكان، ودارزنجى (ابن خرداذبة: المسالك والممالك ص٤١؛ الاصطخرى: المسالك والممالك ص ١٨٩؛ ياقوت م٣ جـ٥ ص١٩٠ (ط بيروت، دار إحياء التراث العربى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

(٤) المعاذيون: نسبة إلى معاذ بن مسلم والى خراسان على عهد الخليفة المهدى العباسى، وكان يلى أمور خراسان، وأرسل معاذ شقيقه سلمة نائباً فى خراسان،

العباسية ظلت خوارزم على ما كانت عليه، والمأمونيين الذين انتهت دولتهم فى عهد السلطان محمود الغزنوى شهود عدول على ذلك".

يتبين مما سبق أن خوارزم كانت تابعة إسميا للطاهريين[١]، ولما ضعف شأنهم، وسقطت دولتهم على يد الصفاريين، تنازع الصفاريون والسامانيون أراضى الدولة الطاهرية، وانتهى الأمر بضم السامانيين خوارزم إلى دولتهم، وفى الحقيقة كان ذلك أيضا تبعية اسمية فقط، ففى عهد أبى سعيد أحمد بن محمد خوارزمشاه ضربت سكة خاصة بخوارزم منذ سنة ٣٤٨هـ/٩٥٩-٩٦٠ م[٢]،ويدل ذلك على مدى استقلال خوارزم، كما سيتضح لنا أيضا خلال دراسة علاقة دولة المأمونيين بخوارزم بالدولة السامانية، وأن أمراء هذه الدولة كانوا يستنجدون بالخوارزمشاهيين فى حروبهم مع الدول الأخرى، أو يلجأون لوساطتهم للصلح وإقرار السلام.

على أية حال كانت خوارزم منقسمة إلى شطرين، ويرجع ذلك إلى أن الأمراء المسلمين الذين حكموا خوارزم مع الأمراء

ثم ذهب إليها بعده فى شهر ربيع الآخر عام ١٦١هـ، وفى عهده جعلوا نيسابور باسم ابنه حسين الذى توفى بعد قليل، ولما ذهب معاذ إلى مرو أقام أمور خراسان (الطبرى: جـ٨ ص١٣٥؛ الكرديزى: المصدر السابق جـ١ ص٥٢).

(١) سبق الحديث عن ذلك خلال صفحات الدراسة التمهيدية.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية مادة "خوارزم".

المحليين حاولوا الاستقلال، وأسسوا بالتالى أسرة تلى الحكم بالوراثة واتخذوا مدينة "كركانج" أو جرجانية الواقعة جنوبى بحيرة خوارزم (آرال الآن) عاصمة لهم، كما كانت عاصمة الخوارزمشاهية[١] آنذاك مدينة "كاث"، وكانت العلاقات عدائية دائماً بين هؤلاء وهؤلاء، وانتهى الأمر بأن اسر أبو العباس مأمون بن محمد والى جرجانية أبا عبد الله خوارزمشاه سنة ٣٨٥ هـ/٩٩٥م، ثم تخلص منه وأدخل كل بلاده فى حوزته، ووحد بذلك دولة خوارزم[٢]، وانتحل لنفسه وأسرته لقب "خوارزمشاه"، وقد استمر أبو العباس فى الحكم حتى سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م، ثم خلفه ولده أبو الحسن على بن مأمون سنة (٣٨٧-٣٩٠هـ/ ٩٩٧-٩٩٩م) وحكم بعده أخوه أبو العباس مأمون بن مأمون منذ سنة ٣٩٠هـ إلى سنة ٤٠٧هـ (٩٩٩- ١٠١٦، ١٠١٧م)[٣].

---

(١) حكم أبو سعيد أحمد بن محمد خوارزمشاه دولة خوارزم قبيل توحيد الأراضى الخوارزمية فى ظل دولة المأمونيين، وكانت عاصمته "كاث" وقد أسره أبو العباس مأمون بن محمد سنة ٣٨٥هـ/٩٩٥م ثم قتله (زامباور: ص٣١٦، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة جـ٢ ص٣٧٣).

(٢) تعتبر هذه أول دولة إسلامية مستقلة حكمت البلاد الخوارزمية منذ الفتح الإسلامى.

(٣) الكرديزى: زين الأخبار جـ٢ ص٢٧٥؛ ذكر البيهقى أنه سمع أبا منصور الثعالبى مؤلف كتاب (يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر) وكان قد رحل إلى خوارزم وعمل نديماً لخوارزمشاه فترة وألف باسمه كتباً كثيرة يقول "كنا ذات يوم نتحدث فى الآداب.. فقال خوارزم شاه: هيتى كتاب انظر فيه وحبيب انظر

وقد حصل أبو العباس مأمون على اعتراف الخلافة العباسية رسمياً بإمارته على خوارزم، وأرسل إليه الخليفة القادر بالله العباسى الخلعة والعهد واللواء ولقبه بلقب "عين الدولة وزين الملة"(١)، وقد اغتيل أبو العباس خوارزمشاه على يد الثوار الخوارزميين الذين كانوا يعارضون الانضمام تحت لواء السلطان محمود الغزنوى ثم اقروا عليهم ابن أخيه أبا الحارث محمد بن على الذى عزله السلطان الغزنوى محمود وذلك فى صفر سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م، وولى آلتونتاش بدلاً منه، وآلتونتاش هذا هو مؤسس أسرة آلتونتاش التى تولت حكم دولة خوارزم الثانية بعد سقوط دولة المأمونيين(٢).

وقد كان لدولة المأمونيين فى خوارزم علاقات سياسية مهمة مع الدول الإسلامية المجاورة لها، ومع العناصر التركية التى تحيط بالأراضى الخوارزمية فى منطقة آسيا الوسطى.

إليه وكريم انظر له"، كما يذكر البيهقى أن أبا العباس كان حليماً جواداً أديباً كبيراً؛ انظر: تاريخ البيهقى: ص٧٣٥-٧٣٦.

(١) الكرديزى: المصدر السابق جـ٢ ص٢٩٤؛ البيهقى: نفسه ص٧٣٥.

(٢) تاريخ العتبى على هامش الفتح الوهبى جـ١ ص٢٢٠-٢٢٨؛ جـ٢ ص ٢٥١-٢٥٣، ٢٥٧-٢٥٩؛ البيهقى المصدر السابق ص٧٤٢؛ ابن الأثير جـ ٧ ص١٦٩، ص٢٨٢؛ عمرانى: الأنباء فى تاريخ الخلفاء ص١٥١؛ (قدمه وعلق عليه باللغة الفارسية تقى بنيش مشهد- ١٣٦٣هـ.ش).

وفـــى هـــذا الفصـــل نتـــناول بسط الكلام عن العلاقات السياســـية الـــتى قامـــت بهـــا دولـــة المأمونيـــين وبين الدولة الســـامانية،ودولة خانـــات تركستان، وأيضا مع العناصر التركية خاصة الخزر، والبلغار،والغز، والقفجاق.

أولا: علاقة دولة المأمونيين مع الدولة السامانية:

لم تكن علاقة خوارزم مع السامانيين علاقة بين ولاية صغيرة ودولة كبرى أى علاقة تابع ومتبوع، فلم يكن للنفوذ السامانى، أو الإدارة السامانية السطوة على الخوارزمشاهيين وإنما كانت دولة خوارم تتعامل مع هؤلاء على أساس العلاقة التى ترتبط بالمصالح والأهداف التى تهم الطرفين فى نطاق منطقة وسط آسيا.

فـــتذكر المصادر أنه لما توفى منصور بن نوح السامانى سنة ٣٦٦هـــ/٩٧٦م خلفـــه ابنه نوح الثانى وكان عمره آنذاك ثلاثة عشـــر عامـــاً[١]، لذلك قامت أمه بإدارة أمور الملك ولما بلغ سن الرشد اتخذ لحكومته كل من الأمير أبى الحسن السيمجورى وأبى الحـــارث محمـــد بن أحمد بن فريغون والى الجوزجان[٢]، وفائق

---

(١) حمد الله المستوفى القزوينى:تاريخ كزيدة ص١٤٣-١٤٤، ابن الأثير جـــ٧ ص ٨١ (نشر عبد الحسين نوائى- ط طهران، ١٣٣٦- ١٣٣٩ هـــ.ش)

(٢) جوزجـــان أو جوزجانـــان، هـــا اسم واحد لكورة واسعة من كور بلخ بإقليم خراســـان، وتقـــع جورزجـــان بـــين مدينتى مرو الروز وبلخ، ويقال لقصبتها "الـــيهودية" ومن مدنها: الأنبار، وفارياب، وكلار. وبها قتل يحيى بن زيد بن على بـــن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه. وهى فتحت عنوة فى سنة ٣٣

الخاصة،وأبى العباس تاش حاجبه، وقد مكن الأخيرين فى أن يتدخلا تماماً فى أمور دولته، ثم أناب أبا الحسن السيمجورى فى خراسان وضم إليه هراة ونيسابور(١).

ومهما يكن من أمر فإنه منذ بداية عهد الأمير نوح الثانى هذا بدأت تلوح مقدمات انهيار الدولة السامانية، فالأوضاع غير مستقرة، وأصبح الأمراء السامانيون أداة طيعة فى أيدى الوزراء والقواد، كما أضحت أكثر ولايات الدولة بيد عمال وحكام عاصيين لبخارى، وكانت الخزانة خاوية، ووراء كل ذلك كان قواد نوح يخاصم أحدهم الآخر ويدعى عليه القيادة والولاية(٢).

هـ، ونسب إليها جماعة كثيرة من العلماء وأئمة الحديث والحفاظ؛ انظر ياقوت: جـ٣ ص٩٠-٩١ (ط دار إحياء التراث العربى، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

(١) الكرديزى جـ١ ص٢٧٤، كان أبو الحسن السيمجورى يتمتع بوظيفة أمير الأمراء فى دولة نوح بن منصور، فلما اراد نوح أن يعطى الوزارة لأبى الحسين العتبى حرر رسالة إلى الأمير أبى الحسن المذكور للمشورة فكتب إليه الأمير أبو الحسن.. أن ابنا الحسين شاب "فلما عرف أبو الحسين هذا أضمر الحقد لأبى الحسن وبدأ الصراع بين الرجلين. وفى نهاية الأمر عزل أبو الحسن السيمجورى عن ولايته وعن قيادة جيوش خراسان واسند الأمير نوح قيادة الجيوش إلى أبى العباس تاش الحاجب (الكرديزى جـ١ ص٢٦٥-٢٦٦؛ السمعانى: الأنساب،جـ٢ ص٣٦٣، بيروت، ١٩٨٨م).

(٢) إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام ص١٥٦.

وفـــى أواخـــر سنة ٣٧٨هـــ /٩٨٨م توفى أبو الحسن السـيمجورى وكـــان نوح قد وعد ابنه على منصب والده مجبرا خائفـــا، وأعطى إمارة هراة لفائق[١]، وجرت حرب بين أبى على، وفائق[٢]، وسيكون لدولة خوارزم الأولى دور كبير منذ ذلك الحين فى الأحداث التى جرت فى دولة السامانيين حتى سقوطها.

الدور الخوارزمى منذ فتنة أبى على السيمجورى وفائق:

دارت الحـــرب بيـــن كل من أبى على وفائق فيما بين بوشنج وهـــراة، وانتصر فيها أبو على، وبعد هزيمة فائق حاول السيطرة علـــى بخـــارى لكـــنه هزم أيضاً أمام جيش نوح، وهرب إلى بلخ وتـــرمذ[٣]، حيـــث تغلب على الأمير أبى الحارث الفريغونى عامل نـــوح علـــى الجوزجـــان، ثم تحالف مع صاحب كاشغر[٤] الخان

---

(١) أســـند نـــوح بن منصور قيادة الجيوش إلى أبى على وأرسل إليه العهد واللواء والخلعة ولقبه بعماد الدولة، وذلك سنة ٣٨١هـــ (الكرديزى جـــ١ ص٢٧٠، تاريخ كزيدة، ص١٤٥).

(٢) تاريخ كزيدة، ص ١٤٤.

(٣) تـــرمذ: مدينةمشـــهورة مـــن أمهات المدن التى تقع على الجانب الشرقى لنهر جـــيحون، هـــى متصلة العمل بالصاغنيان أحد أقاليم ما وراء النهر ومن أئمتها المشـــهورين أبـــو عيســـى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى الضرير، صاحب الصـــحيح وكـــان قد تتلمذ على الإمام البخارى، توفى بقرية "بوغ" سنة نيف وسبعين ومائتين. انظر ياقوت: المصدر السابق جـــ٢ ص٤٤٠-٤٤١).

(٤) كاشـــغر: قـــال ياقوت فى شأنها: مدينة وقرى ورساتيق يسافر إليها من سمرقند، وهـــى فى وســـط بـــلاد الـــترك. كان منها أبو عبد الله الحسين بن على الألمعى

الإفراسـيابى شهاب الدولة هارون بغراخان ضد نوح ودعاه لأخـذ بخارى، ومن ناحية أخرى استدعى أبو على بغراخان أيضاً للسيطرة على بخارى، ولما رأى فائق أن خصمه توافق مع الخان وأنهما قررا اقتسام ولايات الدولة السامانية، طلب الصفح من نوح وعاد إلى بخارى فأرسله نوح بصحبة ابنه الحاجب لدفع بغراخان، لكـن الدائرة كانت عليهم وهزم بغراخان جند نوح فى ربيع الأول سـنة ٣٨٢هـ (٩٩٢م) واستولى على بخارى واصبح فائق من أتباع بغراخان[١].

أمـام هـذا فـر الأمير نوح بن منصور واتجه إلى خوارزم فاستقبله والياً جرجانية وخوارزم المأمون بن محمد وأبو عبد الله خوارزمشـاه، وطلـب نـوح وهـو بخوارزم مدداً من أبى على السيمجورى لمؤازرته، لكن أبا على أبى ولم يجبه إلى طلبه[٢].

ومهمـا يكـن مـن أمـر ففـى تلك الآونة مرض بغراخان ببخارى،ومات فى طريق عودته إلى تركستان، فعاد نوح من فوره

الكاشغرى، كان شيخاً فاضلاً واعظاً له تصانيف كثيرة، توفى ببغداد سنة ٤٨٤ هـ (معجم البلدان جـ٧ ص١١٤).

(١) عمـرانى: الأنـباء فى تـاريخ الخلفاء ص١٤٩، ذكر ابن الوردى أن بغراخان اسـتولى على بخارى سنة ٣٨٣هـ(تتمة المختصر فى أخبار البشر جـ١١ ص ٤٦٧).

(٢) تاريخ كزيدة، ص١٤٥.

مـــرة أخرى إلى عاصمته[١]، بعد موت بغراخان حاول فائق السيطرة على بخارى، وكان والياً على بلخ من قبل بغراخان، لكنه هـــزم أمام جيش نوح، فاضطر إلى اللجوء إلى أبى على وتحالف معه ضد نوح وصمما على الهجوم معاً على بخارى.

وأيـــاً كان الأمر وإزاء عصيان هذين القائدين لم يجد نوح بداً من اللجوء إلى سبكتكين أمير غزنة ووالياً خوارزم[٢]، وترك قسماً مـــن بـــلاد السامانيين التابعة للسيمجورى لهم وألحق بأبى على وفـــائق هزيمة فادحة فى رمضان سنة ٣٨٤هـــ (٩٩٤م) اللذين اضطرا إلى اللجوء إلى فخر الدين الديلمى بجرجان[٣].

وعقـــب الانتصار الذى تحقق لنوح السامانى، منح سبكتكين لقب ناصر الدولة، ونصب محموداً ابنه قائداً لجيش خراسان بدلاً من أبى على السيمجورى، ثم عاد نوح إلى بخارى وسبكتكين إلى هراة[٤].

---

(١) ابن الأثير جـــ٧ ص١٦٠-١٦١.

(٢) يقصـــد عـــبد الله محمد بن أحمد خورازمشاه، صاحب كاث، والثانى مأمون بن محمد والى كركانج.

(٣) البـــيهقى ص٢١٤-٢١٥. وفخـــر الدولة هو ابن ركن الدولة وابو الحسن بن بويـــة جعل له والده حكم همذان وأعمال إقليم الجبال (الجبل) سنة ٣٦٦هـــ/ ٩٧٦م) تـــوفى بالـــرى بقلعة طبرك (طبرق) سنة ٣٨٧هـــ (٩٩٧م) وزر له الصـــاحب بن عباد (ابن الأثير جـــ٧ ص٨٠ (سنة ٣٦٦هـــ)، ص١٨٥ (سنة ٣٨٧هـــ).

(٤) ابن الأثير جـــ٧ ص١٦٤ (أحداث سنة ٣٨٤هـــ).

فلمـــا ســـمع أبو على وفائق بعودة سبكتكين إلى هراة عـــزماً علـــى فتح خراسان، وكان محمود بن سبكتكين وحيداً فى نيسابور فطلب عون أبيه، ولكن قبل أن يصله المدد تمكن من طرد أبـــى على وفائق عن نيسابور،ولما كان غير مطمئنين على عاقبة أمـــرهما طلـــباً عفـــو نـــوح وبـــذلاً له الطاعة، فلم يجبهما نوح وســـبكتكين، وقامـــت الحرب بين الطرفين وتغلب نوح مرة أخرى مســـتعيناً بجند سبكتكين ومحمود على أبى على وفائق فى طوس وذلـــك فـــى جمـــادى الآخـــرة سنة ٣٨٥هـــ (٩٩٥م) فهربا إلى خوارزم حيث طلبا منهما أيضاً عفو نوح[١].

والغريـــب أن نوحاً كان مستعداً بعد كل ذلك أن يعفو عن أبى على بمفرده بشرط أن يخلع عنه صداقة فائق، فرفع أبو على يده على حليفه فائق الذى قال له "إن أمان نوح لا يعتمد عليه"[٢].

وأخيراً لجأ فائق إلى الإيلك ناصر خان خليفة بغراخان وعاش عنده معززاً مكرماً لكنه حرض ايلك خان على التحرك إلى بخارى، إلا أن ايلـــك خان ونوحاً بتدخل من سبكتكين مالا إلى المصالحة ، ونتيجة لهذا عفا نوح عن فائق، وأرسله لحكم سمرقند[٣].

---

(١) تاريخ كزيدة، ص١٤٦، ابن الأثير جـــ٧ ص١٦٨ (أحدثا سنة ٣٨٥هـــ).

(٢) العتبى جـــ١ ق ١، ص٢١٩.

(٣) العتبى: نفسه ص٢١٩.

أمـــا عـــن أبى على فيبدو أنه كانت هناك علاقات طيبة ووثـــيقة تربط بينه وبين والى جرجانية مأمون بن محمد، فجد فى الســـير إلـــيها إلـــى أنـــه بلغ به المسير هزارا سف[١]- من بلاد خـــوارزم- فأرسل أبو عبد الله محمد خوارزمشاد يستدعيه إليه، وقـــد كمن له زهاء ألفى رجل من عسكره، وقبض على أبى على وقواده وتفرق عنه جنوده وذلك فى سنة ٣٨٦هـــ (٩٩٦م) [٢].

ومن الجدير بالذكر أن نوحاً كانت تربطه بعبد الله خوارزمشاد أواصـــر المحبة والود منذ أن لجأ نوح إلى خوارزم، وكان قد أمر بمـــنح أبيورد لخوارزمشاد، لكن أبا على منعهما منه، وأمر بطرد أصحابه عنها، لذلك اضمر خوارزمشاد له الحقد، حتى أمكنته هذه الفرصـــة ليستشـــفى مـــنه، فقبض عليه، وأسره، ثم أورده مورد الهلاك[٣].

ولمـــا أن وصـــلت أخـــبار القـــبض على أبى على إلى والى الجرجانـــية مـــأمون بن محمد اشتط غضباً، وقام من فورد بجمع

---

(١) مـــن نواحـــى خوارزم، وهزار اسف مخفف عن هزار اسب ومعناه ألف فرس. العـــتبى جـــ١ ق١ تعلـــيق المنيني ص٢٢١؛ انظر أيضاً المقدمة الجغرافية لهذا البحث.

(٢) العتبى جـــ١ ق١ ص٢٢٠-٢٢٤؛ الكرديزى: زين الأخبار جـــ٢ ص٢٧٤؛ تاريخ كزيدة، ص١٤٦.

(٣) العتبى: نفسه ص٢٢٢-٢٢٣.

عسكر جرار. وقصد مدينة كاث[١] عاصمة خوارزمشاد وأحاطوا بها، وبعد حرب طاحنة بين الفريقين سقط خوارزمشاد أسيرا ثم أمر مأمون بضرب عنقه،وفك أسر أبا على، ومنذ ذلك الوقت صفت خوارزم لمأمون وتم اتحاد شطريها تحت حكم دولة المأمونيين[٢].

وقد حاول مأمون بن محمد أن يشفع لأبى على لدى نوح بن منصور، وأرسل مأمون إليه كتباً فى هذا المعنى، فأجابه لإرضائه، ولكنه فى حقيقة الأمر كان يضمر لأبى على حقداً دفيناً، فلما وصل أبو على إلى مشارق بخارى أمر نوح بالقبض عليه ثم سجنه[٣].

مما سبق يتبين لنا أن العلاقة بين دولة خوارزم الأولى ودولة السامانيين كانت علاقة طيبة تسعى دائماً إلى المصالح المشتركة بين الطرفين، كما كان الأمراء السامانيون- من ناحية أخرى- يعرفون للخوارزمشاهيين قدرتهم وتفوقهم فى منطقة آسيا الوسطى،ويمكن القول بأن تلك العلاقات كانت فى مجموعها علاقات ودية خاصة فى النصف الثانى من حياة دولة السامانيين.

ثانياً: علاقة دولة خوارزم مع خانات تركستان:

---

(١) انظر المقدمة الجغرافية من بحثنا هذا.

(٢) العتبى: المصدر السابق، جـ١ ق١ ص٢٢٥-٢٢٨؛ الكرديزى: زين الأخبار جـ٢ ص٢٧٤-٢٧٥؛ ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ٧ ص١٦٩.

(٣) العتبى: نفسه ص٢٢٨-٢٣٠؛ تاريخ كزيدة ص١٤٦.

كانت العلاقات بين الخوارزميين والخانيين فى تلك الفترة فى بدايتها ولم تكن أكثر من علاقات يسودها الود والسلام من ناحية والمصلحة المشتركة بين الطرفين من ناحية أخرى، ويمكن القول بأن كان لخوارزم دور الوساطة فى العلاقات القائمة بين الخانيين والغزونيين، كما كانت خوارزم أيضاً ملجأ آمناً للأمراء السامانيين الفارين أمام هجمات الجيوش الخانية التى أتت للقضاء عليهم والسيطرة على بلادهم، وقد سبقت الإشارة إلى أن نوحاً لما هزم أمام بغراخان سنة ٣٨٢هـ (٩٩٢م) لاذ بالفرار إلى مأمون بن محمد وعبد الله محمد خوارزمشاه والياً لخوارزم[١].

بدأت عوامل انهيار دولة السامانيين تبدو فى الأفق،وبدأ الفساد يتطرق إلى إدارتها وظهر ذلك واضحاً بين حكام الولايات وأصحاب النفوذ من الوزراء والحجاب ووقع الخلاف فيما بينهم وبدأت الصراعات والحروب، وقد أدى تفوق بعضهم إلى الاستنجاد بالايلكخانيين، وظهر ذلك جلياً عندما لجأ كلُ من فائق الخاصة وأبو على السيمجورى وهما من قواد نوح بن منصور- كما سبق- إلى صاحب كاشغر شهاب الدولة هارون بغراخان[٢]. ودعاه إلى أخذ بخارى[١].

---

(١) تاريخ كزيدة: ص١٤٥؛ ابن الأثير جـ٧ ص١٥٨-١٥٩.

(٢) هو هارون بن سليمان، ولقبه الإسلامى الذى خلعته عليه خلافة بغداد فيما يبدو هو "شهاب الدولة" وهو له كاشغر ويلاساغون وسائر بلاد تركستان الشرقية وكانت عاصمة ملكه بلاساغون ولما استولى على بخارى ونزل بها

وقد بدأ سقوط الولايات السامانية فى قبضة الخانيين بسقوط بخارى سنة ٣٨٢هـ واستمر سقوط الولايات الأخرى حتى سقطت دولتهم نهائياً فى بلاد ما وراء النهر على يد أيلك خان واسمه أبو النصر أحمد بن على سنة ٣٨٩هـ[٢].

العلاقة على عهد أبى العباس مأمون (نهاية الدولة الأولى):

لم ينته الصراع بين الدولتين الخانية والغزنوية بسبب الاستيلاء على الأملاك السامانية فى بلاد ما وراء النهر وخراسان، ولم يقنع الإيلك نصر بأن يكون جيحون الحد الفاصل بين الدولتين

استوطنها فلحقه مرض ثقيل فانتقل عنها نحو بلاد الترك وتوفى فى الطريق سنة ٣٨٣هـ/٩٩٣م أى قبل ولاية محمود الغزنوى بخمس أو ست سنين (ابن الأثير جـ٧ ص١٦٠ جهار مقالة ص٣١ والحواشى والتعليقات ص١١٣-١١٤).

(١) ابن الأثير جـ٧ ص١٦٠ (أحداث سنة ٣٨٣هـ)، انظر أيضاً ما ذكره الكرديزى ص٢٧٠-ص٢٧١.

(٢) ابن الأثير: جـ٧. ص١٩٧ (حوادث سنة ٣٨٩هـ). ويلقب أبو نصر بقطب الدولة وهو أحمد بن على (نصر أرسلان) بن موسى بن شهاب الدولة هارون بغراخان.

ولقبه الإسلامى شمس الدولة وقد حكم ما وراء النهر عشرين سنة (٣٨٣-٤٠٤هـ/ ٩٩٣-١٠١٣م) وله نقود ضربت بين سنتى ٣٩٠، ٤٠٠هـ فى بخارى وخنجد وفرغانة وأوزكند وصغانيان وسمرقند ولوشى وأيلق أى فى المدن الرئيسية فيما وراء النهر وتركستان، وقد قاتل السلطان محمود للخلاف على تقسيم مملكة آل سامان واتفقا آخر الأمر على جعل ما وراء النهر له وجعل خراسان وغزنة لمحمود (جهار مقالة ص١١٤، دائرة المعارف الإسلامية جـ٥ ص٤٠١).

الخانـــية والغزنوية، بل تطلع للاستيلاء على إقليم خراسان الـــذى كـــان قد استولى عليه الغزنويون، فوقعت بسبب ذلك عدة حـــروب بين الطرفين فى خراسان أهمها حرب سنة ٣٩٦هـــ[١] (١٠٠٥م) وانتصـــر فيها الغزنويون، ثم حرب سنة ٣٩٧هـــ[٢] (١٠٠٦م)، وانتصـــر أيضاً الغزنويون على خصومهم، وكانت آخر حـــرب بيـــن الدولتين- على عهد أيلك نصر- سنة ٤٠٣هـــ[٣]/ ١٠١٢م فقـــد أعـــد الأيلك جيشه للمسير إلى خراسان، لكن وافته منيته، ولم يقع قتال.

علـــى أية حال فقد كان لإيلك خان أخ يجنح للسلم وهو طغان خـــان، وقد بعث طغان إلى السلطان محمود يعتذر عما اقبل عليه أخـــوه فـــى مهاجمة أملاكه، ولما علم أيلك بذلك سار من سمرقند قاصـــداً قـــتال أخيه طغان خان لكن كثرة الثلوج منعت قواته من سلوك الطريق فقفل عائداً إلى سمرقند[٤].

---

(١) ذكـــر ابـــن الأثير أنه لما ملك أليك خان ما وراء النهر من السامانيين واستولى محمـــود الغـــزنوى على إقليم خراسان وتجاورت دولتيهما، تزوج محمود من ابنة أيلـــك خـــان وصارت بينهما مودة، إلا أن هذه المودة لم تستمر بسبب الحرب المذكورة) (انظر الكامل فى التاريخ جـــ٧ ص٢٢٨-٢٢٩).

(٢) العـــتبى: تـــاريخ اليمينى جـــ١ ص٧٨-٨٣، ابن الأثير: المصدر السابق نفس الجـــزء ص٢٣١، ويشير ابن الأثير أنه بعد أن انهزم الإيلك فى حرب ٣٩٧هـــ أدرك قوة فى تلك الجولة لكنه منى أيضاً بالهزيمة.

(٣) ابن الأثير: نفس الجزء ص٢٦٨.

(٤) وقعت هذه الأحداث سنة ٤٠١هـــ انظر ابن الأثير جـــ٧ ص٢٥٣.

ومهما كان فإن السلطان محمود بعد تلك الحروب رغب في الصلح، وأن يكون بينه وبين الخانيين صداقة وعهد[١]، فأعدوا وفـدا لإقرار الصلح مع الخانيين ورغب في أن يصحب هذا الوفد رسول من قبل خوارزمشاد حتى يكون على بينه مما يجرى ساعة عقد ذلك الصلح، فلم يرق هذا الطلب لخوارزمشاد وأبى أن يشترك فيه كما تبرأ من صلته بالخانيين فأحفظ عليه السلطان، الذى أساء الظن بصداقته[٢].

وتجـدر الإشارة إلى أن أبا العباس خوارزمشاد أوجس خيفة مـن أن يـتحد الغزنويون مع الخانيين ضده، فسعى إلى استمالة الخانييـن إلى صفة، ومن ثم استغل فرصة وقوع الحرب بين أيلك خـان نصـر وأخيه طغان خان على حدود أوزكند واستطاع إقرار الصلح بينهما، وبعث إليهما بالرسل والهدايا فحفظ له الإيلكخانيون هذا الصنيع، ثم أوفدوا إليه الرسل يخبروه بأن ما قام به يدل على مدى علاقته الطيبة بهم، وتعاهدوا على استمرار هذه العلاقات[٣].

ولمـا بلـغ السلطان محمود ما تم بين الخوارزمية والخانية أساء الظن بهم، وبعث على الفور برسله معاتباً الإيلك وأخاد عما جـرى فأجابـاد "بأنـا كنا نعرف أن خوارزمشاد صديق السلطان

---

(١) البيهقى، ص٧٣٦.

(٢) البيهقى. ص ٧٣٦-٧٣٧.

(٣) البيهقى. ص٧٣٩.

وصـــهره، ونعرف أن السلطان كان راضياً عنه إلى حد أنه أرســـل إليـــنا رسله، وابرم العهد معنا وطلب من خوارزم شاه أن يعين رسولاً من قبله ليشهد ما يكون بيننا وبين رسله، فلم يستجب لذلـــك، ولـــم يوفد رسولاً، وإذا كان السلطان غاضباً عليه اليوم، فالواجب ألا يعتب علينا، والخير أن نتوسط حتى تعود الألفة بينكما إلى ما كانت عليه[١].

ومهمـــا يكن من أمر فإن السلطان محمود لم يعر أى اهتمام للخانييـــن، ومن ناحية أخرى أوفد الخان رسولاً إلى خوارزمشاه ســـراً لـــيقص علـــيه مـــا جرى حتى يعرف جوابه ورده، فأخبره خوارزمشـــاه بـــأن لا محالة من حرب محمود، ووضع لذلك خطة الهجـــوم علـــى خراسان وأطلع الخان والإيلك عليها لكنهما تدبرا الأمـــر، وأرســـلا (أيلـــك خـــان، طغان خان) إليه بأن "بيننا وبين الســـلطان محمود عهد وميثاق ولا.نستطيع أن ننكث بعهدنا، فإذا أراد خوارزمشـــاه، فإنا نتوسط للصلح ونصلح ما فسد بينه وبين الســـلطان محمـــود، فقـــال خوارزمشـــاه حسناً"[٢]، عندئذ اطمأن الســـلطان محمـــود إلى ذلك وابدى ارتياحه وتم الصلح بينه وبين خوارزمشاه[٣].

---

(١) البيهقى، ص٧٤٠.

(٢) البيهقى، ص٧٤٠.

(٣) البيهقى، ص٧٤١.

نخـــرج ممـــا ســـبق بأن العلاقات السياسية بين دولة خـــوارزم، ودولة الخانيين كانت تنم عن الود والسلم،ولم تتطرق المعاملة بين الدولتين إلى الاعتداء أو الاغتصاب بالرغم من تطلع دولـــة الخانييـــن إلى التوسع وتلاصق الحدود بين الدولتين وإنما رأيـــنا علاقـــات تسعى إلى المصالح المشتركة من ناحية وحسن الجوار من ناحية أخرى.

ثالثاً: العلاقات السياسية بين دولة المأمونيين والقبائل التركية:

قامت بين خوارزم والقبائل التركية المجاورة علاقات سياسية وطـــيدة وهـــى- على كل حال- لم تأت من فراغ، فدولة خوارزم كانـــت تتمـــتع بحضارة أصيلة منذ عهد بعيد، وبعد انضمامها إلى الدولـــة الإسلامية الكبرى تمثلت الحضارة الإسلامية أعظم تمثيل. وصارت كإحدى دول المشرق الإسلامى المستقلة تلعب دورا بارزا فـــى العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية، ومن ثم رأت فيها القبائل التركية أقرب الدول المتحضرة إليهم.

وفـــيما يلـــى نتناول العلاقات السياسية التى قامت بين دولة خـــوارزم والقبائل التركية كالخزر، والبلغار، والغز، والقفجاق[١]، تلـــك القـــبائل الـــتى كانت تحيط بأراضى خوارزم وأثر ذلك على مسرح الأحداث فى منطقة وسط آسيا آنذاك.

---

(١) أشرنا فيما سبق إلى القبائل التركية التى تقع على حدود دولة خوارزم فى منطقة آسيا الوسطى، وتحديد مساكنهم وتجمعاتهم وتحركاتهم.

العلاقات مع الخزر:

يعتبر الخزر أهم القبائل التركية التى ارتبطت معها خوارزم بعلاقات سياسية منذ الفتح الإسلامى، خلال فترة حكم أمراء الدولة الأولى، وقد سبقت الإشارة فى بداية البحث إلى أحوال الخزر وبلادهم، والقبائل التركية الأخرى المجاورة لهم.

انقسم المجتمع الخزرى إلى ثلاثة عناصر: مسلمين، ومسيحيين، ويهود، وكان اليهود أقل عدداً من المسلمين والمسيحيين، وبالرغم من ذلك كان ملك الخزر يهودياً ويسمى "خاقان"[١]، وخلال الفترة التى عاصر فيها الخزر دولة خوارزم الأولى كانوا أصحاب النفوذ على القبائل التركية المجاورة لهم كالغز والصقالبة (البلغار) وغيرهم[٢]، وكانت علاقة الخزر مع هؤلاء علاقات عدائية كما سيبين البحث.

ومهما يكن من أمر فالعلاقة بين خوارزم والخزر كانت علاقة يحدوها التعاون بين الطرفين، فقد استعان ملوك الخزر

---

(١) رحلة ابن فضلان ص١٦٩، المسعودى: مروج الذهب جـ١ ص١٨٠. ذكر الكرديزى أن للخزر ملك عظيم يسمى "الشاد" كما أن لهم عظيماً آخر يسمى خاقان الخزر، وليس له إلا الاسم فقط، أما مدار شغل الولاية فهو على الشاد (زين الأخبار جـ٢ ص٤٦٣).

(٢) رحلة ابن فضلان ص١١٩، الكرديزى: نفسه جـ٢ ص٤٦٤-٤٦٥. الاصطخرى مسالك الممالك، ص٢٢٤، ياقوت: جـ٢ ص٣٦٨-٣٦٩.

بالخوارزميين فى تكوين جيوشهم، ويشير المسعودى[١] إلى أن الغالب فى بلد الخزر من الخوازميين المسلمين "وهم ذوو بأس وشدة وعليهم يعول ملك الخزر فى حروبه، وأقاموا فى بلده على شروط بينهم".

ويمكـــن تناول العلاقة بين دولة خوارزم الأولى والخزر على مرحلتين:

الأولى: كانت سنة ٣٥٤هـ (٩٦٥م) حيث استنجد الخزريون بالخوارزميـــن عـــندما هاجمهم جيش قوى من العناصر التركية المجـــاورة لهـــم، فاشترط عليهم الخوازرميون أن يعتنقوا الإسلام حـــتى يساعدوهم، فقبلوا الإسلام إلا ملكهم[٢]، فقاتلوا معهم الترك وأجلوهـــم عـــن بلادهم، ويشير ابن الأثير[٣] إلى أن ملكهم أعلن إسلامه عقب ذلك الانتصار.

أمـــا المرحلة الثانية من تلك العلاقات فإنها تبرز بوضوح اثر الـــنفوذ الخوارزمـــى فـــى منطقة آسيا الوسطى، خاصة المناطق

---

(١) مـــروج الذهب جـــ١ ص١٧٩. يقدر عدد الجند الخوارزميين فى جيش الخزر بحـــوالى ١٢ ألف جندى؛ (انظر: زبيدة عطا: الترك فى العصور الوسطى ص١٨ (ط دار الفكر العربى).

(٢) مســـكويه: تجارب الأمم جـــ٢ ص٢٠٩ أحدثا سنة ٣٥٤هـــ (٩٦٥م)؛ ابن كثير: البداية والنهاية جـــ٧ ص٣٢٧ (ط أولى- دار الغد العربى- ١٩٩١م).

(٣) الكـــامل: جـــ٧ ص١٥؛ دنلوب (د.م): تاريخ يهود الخزر ص ٣٢٤ (نقله إلى العربية سهيل زكار- ط أولى ١٤٠٧هـــ/١٩٨٧م دار الفكر العربى، بيروت).

المحيطة ببحر الخزر "قزوين"، فبعد أن توحدت دولة خوارزم تحت إمرة أسرة المأمونيين سعى أمراء هذه الأسرة تحدوهم أهدافهم الطموحة إلى نشر الإسلام بين قبائل الترك من ناحية، وحماية المصالح الخوارزمية واستمرار العلاقات مع تلك القبائل من ناحية أخرى، لذلك وجه مأمون بين محمد خورازمشاد عدة حملات إلى بلاد الخزر اشترك فيها بنفسه بعد أن غادر عاصمته "كركانج" متجها إلى تلك البلاد، وقد حققت هذه الحملات أهدافها فى نشر الإسلام، وتوثيق الروابط والصلات التجارية مع الخزريين(١).

العلاقة مع البلغار:

ارتبطت خوارزم مع بلغار الفولجا (الصقالبة) بعلاقات وطيدة رغم بعد المسافة بين هؤلاء وبلاد خوارزم،وتشير المصادر الإسلامية إلى أن البلغار أو الصقالبة كانوا أكثر اتصالاً بالمدنية الإسلامية من جيرانهم الخزر، ففى سنة ٣٠٩هـ (٩٢١م) وفد على الخليفة العباسى المقتدر بالله سفراء من قبل ملك البلغار يسألة أن يرسل إليه بعثة من قبله تفقهه فى الدين وتبنى له مسجداً، وتقيم له منبراً على أن يقيم الدعوة للخليفة العباسى فى جميع مملكته، كما طلب منه بعض العسكريين المتخصصين فى بناء القلاع والاستحكامات ليحمى بلاده من أعدائه ملوك الخزر

---

(١) المقدسى: أحسن التقاسيم ص٣٦١ (ط بريل- ليدن- ١٩٠٦م) بارتولد: المرجع السابق ص٦٣؛ دنلوب: المرجع السابق، ص٣٢٧.

وهم من اليهود، وكانوا يعتقدون على قومه، ويفرضون عليهم الضرائب، والعشور على سفنهم[١].

ويبدو أن البلغار كانوا على اتصال بالمدنية الإسلامية قبل رحلة ابن فضلان وذلك عن طريق الولايات الإسلامية التابعة للخوارزميين والسامانيين فى منطقة وسط آسيا، ولاشك فى أن العلاقات القوية بين الخوارزميين والبلغار جعلت المؤرخين الروس يظنون أن هناك قرابة بين الخوارزميين والبلغار، كما أن هناك إشارة فى رحلة ابن فضلان تفيد بأن المسلمين الصقالبة كانوا يتزوجون من النساء الخوارزميات[٢]، ومع أن العلاقات بين الخوارزميين والصقالبة (البلغار) كانت تتسم فى مجموعها بالود والمسالمة إلا فى بعض الأحيان حيث كانت تقع بعض المصادمات بين الطرفين وتتحول إلى علاقات عدائية[٣].

وقد استمرت العلاقات بين دولة خوارزم والبلغار حتى قرب نهاية القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) وقد أشار ابن حوقل[٤] (ت ٣٦٧هـ) إلى ذلك فى معرض حديثه عن البلغار، أن الخوارزميين كانوا يكثرون من الدخول إلى بلادهم وغزوهم، كما

---

(١) ابن فضلان: المصدر السابق ص٢٣، ١١٩، ١٤٥.

(٢) ابن فضلان، نفسه ص١٤٣.

(٣) بارتولد، المرجع السابق ص٦٦.

(٤) صورة الأرض ص٣٩٢، ٣٩٦.

استمرت علاقات تجارية ذات شأن بين الخوارزميين والبلغار، وكان التجار يحملون من بلغار الخز والأوبار النفيسة إلى خوارزم.

علاقة دولة خوارزم الأولى مع الغز والقفجاق:

رأينا فيما سبق عند دراسة القبائل التركية المحيطة بدولة خوارزم كيف انتشرت قبائل الغز ومساكنهم فى الصحراء التى تحيط بخوارزم من جهتى الشمال والغرب، وهم بذلك اقرب القبائل التركية إليها، والغز يشبهون البدو وهم متناثرون هنا وهناك، وشهرتهم ذائعة فى تربية قطعان الغنم الكبيرة، فعلى حد قول ابن فضلان[١]، أنه "رأى من الغزية من يملك عشرة آلاف دابة، ومائة ألف رأس من الغنم" ويبدو أن هذا العدد الجم من المواشى كان يقنيه عظماء وأمراء العز،وهو يدل على اهتمامهم بالثروة الحيوانية.

وكانت أسواق خوارزم تستقبل كميات وفيرة من الأغنام الواردة من بلاد الغز إلى جانب منتجاتها الأخرى، ويبدو أنه كانت هناك معاهدات تؤكد الصلات التجارية بين الطرفين[٢]، وعلى الجانب الآخر كانت دولة خوارزم تمثل بالنسبة لقبائل الترك الغز الدولة القريبة منهم، والتى ارتبطت بها مصالحهم، لذا نجد عددا

---

(١) رحلته: ص١٤٣.

(٢) الإدريسى: نزهة المشتاق جـ٢ ص٦٩٧-٦٩٩.

كبيراً منهم يتحدث اللهجة الخوارزمية، وفى رحلة ابن فضلان إشارة إلى ذلك، كما كانت الثياب والملابس الخوارزمية بشتى أنواعها تملأ معظم أسواقهم ويقبل عليها عدد كبير منهم[١].

وقد كان لقبائل الغز[٢] التركية دور كبير فى الصراعات التى قامت بين الدولتين السامانية والإيلكخانية والتى شاركت دولة خوارزم الأولى فى أحداثها ووقائعها- كما سبق أن أوضحنا- فبعد أن دب الضعف إلى دولة آل سامان إذ بالإيلكخانيين يغتنمون الفرص لتحقيق أطماعهم والتوسع على حساب أراضى تلك الدولة فى منطقة وسط آسيا، كما كان هناك الغز الذين اعتمدوا على السطو والنهب والذين أخذت جموعهم تنضم تارة إلى السامانيين فيظهرون لهم الولاء، وتارة أخرى تنضم إلى دولة الترك الإيلكخانيين للفوز برضاهم[٣].

ومهما يكن من أمر فإنه عندما نشبت الحرب بين المنتصر السامانى وايلك خان[٤] سارع الغز إلى الانضواء تحت لوائه، وسار المنتصر بهم حتى لقى أيلك خان فى شوال سنة ٣٩٣هـ (١٠٠٢م) بنواحى سمرقند فهزموه واستولوا على أمواله، وأسروا

---

(١) ابن فضلان: المصدر السابق ص٩٣، ص٩٩.

(٢) انظر الدراسة التمهيدية للتعرف على تلك القبائل.

(٣) العتبى: تاريخ اليمينى جـ١ ق ٢ ص٣٣٥-٣٣٦.

(٤) هو أبو الحسين نصر الأول بن على بن ستوق (أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية، ومعجم الأسر الحاكمة جـ١ ص٢٨).

جماعة من قوادد وعادوا إلى بلادهم، ثم اجتمعت كلمتهم على إطلاق سراح الأسرى حتى يكسبوا جانب أيلك خان ويمحو بذلك ما اقترفود من تلك الحرب[١].

وقد استمرت الحرب[٢] سجالاً بين آخر أمراء السامانيين المنتصر وبين الإيلكخانيين، والغز على عاداتهم يقومون بالسلب والنهب ثم يعودون إلى مواطنهم وانتهت تلك الوقائع بهزيمة المنتصر أمام أعدائه الإيلكخانيين هزيمة نكراء، وأخيراً قتل أثناء فرارد سنة ٣٩٥هـ (١٠٠٥م) وبذلك انتهت دولة السامانيين[٣].

أما عن علاقة دولة خوارزم الأولى مع القفجاق (القبجاق) فإنها كانت علاقة جوار كالقبائل التركية الأخرى، والقفجاق قبيلة تركية يرجع اصلها إلى قبائل كيماك وتمتد منازلهم من الحدود الغربية لدولة القرة خانيين (الايلكخانيين) حتى نهر إتل (الفولجا) شمالاً[٤]، ويجاورون خوارزم على امتداد الجهة الشمالية، ومن ثم

---

(١) ابن الأثير: جـ٧ ص٢٠٥.

(٢) عن الحروب التى وقعت بين المنتصر السامانى وأيلك خان واشترك فيها الغز. انظر: النرشخى: تاريخ بخارى ص١٤٨؛ العتبى: جـ١ ق١ ص٣٢٠ وما بعدها؛ ابن الأثير جـ٧ ص٢٠٤، ٢٠٥.

(٣) العتبى: نفس المصدر والجزء ص ٣٤٥-٣٤٧؛ ابن الأثير: نفسه ص٢٠٥؛ عصام عبد الرؤوف: الدول الإسلامية المستقلة فى الشرق، ص ٧٦، (ط دار الفكر العربى، بدون تاريخ).

(٤) الكرديزى: المصدر السابق جـ٢ ص٤٣٧-٤٤٠، ص٤٦٢.

تأثـــروا بحضـــارة الخوارزميـــن المسلمين، ونشأت بينهما علاقات وروابط قوية أهمها إسلام هؤلاء القفجاق على أيديهم، كما اصبحوا حلفاء مخلصين لهم(١).

وقـــد اســـتمرت العلاقـــات بين القفجاق وخوارزم، وازدادت أهميتها خلال دولة خوارزم الثالثة وسيتناول البحث ذلك بالتفصيل فيما بعد.

وبعد فقد تناولنا العلاقات السياسية بين دولة خوارزم الأولى والقبائل التركية المجاورة، وبينا كيف جنت هذه القبائل من وراء ذلـــك الكثـــير، فكانت تلجأ إلى الخوارزمشاهية عندما يداهمها أى خطـــر أو غزو خارجى فيسارع هؤلاء إلى نصرتهم ومساعدتهم، ومـــن ناحية أخرى رأينا كيف لعبت بعض هذه القبائل دوراً مهماً فى الصراعات السياسية فى منطقة آسيا الوسطى مثلما حدث بين الدولتين السامانية والإيلكخانية.

ويمكن القول بأن روح المسالمة واحترام الجوار كانت الصفة الأساســـية التى اتسمت بها العلاقات القائمة بين الطرفين، أضف إلـــى ذلـــك مدى تأثر القبائل التركية بحضارة خوارزم الإسلامية،

---

(١) بارتولد: المرجع السابق ص٥٩؛ الساداتى: تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية جـــ٤ ص٢٧٠؛ وانظـــر له أيضاً: محاضرات فى تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها ص٦٥، (ط القاهرة ١٩٧٦م).

وهـذا مـا سـوف نتبيـنه عند تناول العلاقات الاقتصادية والثقافية بين خوارزم وجيرانها.

الفصل الثالث

نهاية دولة المأمونيين

تناولنا فى الفصل السابق الحياة السياسية لدولة المأمونيين فى خوارزم، وأشرنا إلى الظروف التى ساعدت على قيام هذه الدولة، وعلاقاتها السياسية مع الدولة السامانية، وخانات تركستان، وكذلك العناصر التركية التى تنتشر مواطنها حول حدود الخوارزمشاهيين.

وفى هذا الفصل نتناول موقف دولة المأمونيين- من الخلافتين العباسية والفاطمية، ثم نوضح العلاقات السياسية بين المأمونيين والدولة الغزنوية، خاصة وأن تلك العلاقات كانت خلال الفترة الأخيرة من عمر دولة الخوارزميين حيث أعقبها سقوط هذه الدولة نهائيا على يد السلطان محمود الغزنوى عام ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م

أولاً: موقف دولة المأمونيين من الخلافتين العباسية والفاطمية

يبدو أن علاقة خوارزم مع الخلافة العباسية كانت على ما يرام، فتشير المصادر إلى أن الخليفة العباسى فى بغداد كان يعامل أمراء هذه الدولة مثل سلاطين وأمراء الدول المستقلة فى الشرق الإسلامى، وقد ذكر البيهقى[١] أن "أمير المؤمنين القادر بالله[١]

---

(١) البيهقى: المصدر السابق، ص٧٣٥.

كـــان قد أرسل إلى أبى العباس مأمون بن مأمون خلعه مع العهد واللواء، ولقب عين الدولة وزين الملة".

أمـــا بالنسبة للعلاقة مع الفاطميين فتجدر الإشارة إلى أن أبا العباس خوارزمشاه كانت تربطه بالخلافة الفاطمية فى مصر علاقة ود واعـــتراف، لذا كان يشجع الدعاة الفاطميين فى بلاد ويعضدهم رغـــم اعتراف الخليفة العباسى بإمرته وتقليده حكم بلاد خوارزم رسمياً[٢].

ولمـــا وجـــد الفاطميون- على عهد الحاكم بأمر الله- نجاح دعوتهـــم فى بلاد المشرق وانصراف كثير من المسلمين عن تأييد العباسيين شرعوا فى مواصلة جهودهم لبسط النفوذ الفاطمى على أراضـــى الدولة العباسية سواء فى العراق أو المشرق الإسلامى، وكان ذلك يشكل خطراً على النفوذ العباسى الأمر الذى دعا الخليفة القادر بالله أن ينفذ إلى الأمير البويهى بهاء الدولة[٣] ببغداد قاضى القضاة أبا بكر الباقلانى ليطلعه على جلية الأمر[١].

---

(١) تـــولى القادر بالله الخلافة فى بغداد سنة ٣٨١هـــ (٩٩١م) وتوفى فى ذى الحجة ٤٢٢هـــ/١٠٣٠م، وكانـــت مـــدة خلافته إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر وعشرين يوماً (ابن الأثير جـــ٧ ص١٤٨-١٤٩، ص٣٥٤).

(٢) عبد القاهر البغدادى، الفرق بين الفرق ص٢٩٢؛ المقريزى: الخطط جـــ٢ ص ٢٥٨ (ط بيروت).

(٣) هـــو ابـــن عضـــد الدولة البويهى (٣٨٠-٤٠٣هـــ/٩٩٨-١٠١٢م) وقد استطاع أن يخلف أباه فى الحكم بعد انتصاره على أخويه شرف الدولة وصمصام

وفـــى عهـــد أبـــى شـــجاع فناخســـرو بن بهاء الدولة البويهى[٢]، عزم البويهيون على القضاء على محاولات الفاطميين نشر دعوتهم فى بلدان الخلافة العباسية بل قصد مصر وانتزاعها مـــن أيدى الفاطميين، لكن الأجل فاجأ الأمير البويهى فأطمع ذلك الخليفة الحاكم بأمر الله فى مواصلة سياسته ضد العباسيين، فكاتب أمـــراء المشـــرق يدعوهم إلى البيعة له فرضوا جميعاً ولم يجبه ســـوى أمير دولة خوارزم أبى العباس مأمون الذى سمح للدعاة الفاطميين بمواصلة نشاطهم فى بلاده[٣].

ولكن الظروف السيئة التى كانت تمر بها دولة خوارزم آنذاك ووقـــوع الفتـــنة بين خوارزمشاد وكبار قواده والتى انتهت بموته وقفت حائلاً أمام الدعوة الفاطمية،ومن ناحية أخرى عمل استيلاء السلطان محمود الغزنوى على بلاد خراسان وخوارزم- وهو سنى

الدولـــة، (العينى: عقد الجمان "القسم الثالث" جـــ١٩، مخطوط، ورقة ٤١٠؛ تـــاريخ الدول الإسلامية، جـــ١ ص٢٩٠) (أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ص٢٩٠).

(١) ابـــن الجوزى: المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك جـــ٧ ص٢٥١ (ط الهند، حيدر أباد- الدكن ١٣٥٨/١٣٥٩م)

(٢) فناخســـرو بن بهاء الدولة، تولى الحكم بعد أبيه، ولقب بسلطان الدولة ٤٠٣-٤١٥هـــ/ ١٠١٢-١٠٢٤م) (أحمـــد السعيد سليمان: المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة).

(٣) عبد القاهر البغدادى. المصدر السابق ص٢٩٢.

المذهب- على الوقوف حجر عثرة أمام النشاط الفاطمى، فقد تتبع دعاتهم للقضاء عليهم وعلى من يناصرهم[١].

ثانياً: العلاقات السياسية مع الدولة الغزنوية وسقوط دولة المأمونيين:

سبقت الإشارة إلى الأحداث التى اشتركت فيها دولة سلاطين غزنة خلال علاقة دولة خوارزم مع كل من السامانيين، والخانيين، وفيما يلى يتناول البحث بداية العلاقات الغزنوية الخوارزمية على عهد المأمونيين، تلك العلاقات التى كانت نهايتها سقوط دولة خوارزم على يد السلطان محمود الغزنوى سنة ٤٠٨هـ (١٠١٧ م) [٢].

بدأت العلاقات السياسية بين الدولتين بعد وفاة مأمون بن محمد خوارزمشاه سنة ٣٨٧هـ (٩٩٧م)، فبعد وفاته بايع الخوارزميون ولده على بن مأمون، الذى استقر فى حكم البلاد، وقبل بيعته للخانيين بعد سقوط السامانيين، ولما كان السلطان محمود الغزنوى قد تغلب عليهم فقد مال على بن مأمون إلى مسالمته وسعى إلى التودد إليه فراسله وخطب إليه إحدى أخواته فاستجاب السلطان وزفها إليه، "واتفقت كلمتهما وصار يداً واحدة

---

(١) عبد القاهر البغدادى، نفسه ص ٢٩٣.

(٢) العتبى: تاريخ اليمينى جـ٢ ص٢٥٨-٢٥٩

إلـــى أن مـــات على بن مأمون وقام بعده أخوه أبو العباس مأمون بن مأمون"[١].

العلاقة بين الدولتين على عهد أبى العباس مأمون:

كانـــت بين أبى العباس خوارزمشاد والسلطان محمود صداقة متيـــنة، وكان بينهما عهد، وقد تزوج أخت الأمير سبكتكين السيد "كـــالجى"، واتصـــلت بينه وبين محمود المكاتبات والمهاداة، ومن ناحية أخرى كان أبو العباس يراعى جانب السلطان محمود فى كل شئ[٢].

وقـــد سبق أن أشرنا إلى رغبة السلطان محمود فى مصالحة الخانييـــن وكيف أنه أراد أن يذهب رسول من قبل خوارزمشاد مع رســـله إلـــى الخانييـــن فلم يرق هذا الطلب لخوارزمشاد وأبى أن يشترك فيه، وأجاب على لسان رسوله قائلاً "ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه"، كما أنكر صلته بالخانيين[٣].

علـــى أية حال تلقى السلطان جواب خورازمشاد على غير ما كان يتوقع كما دخل قلبه البغض من ناحيته فأساء به الظن، وقال محمـــود لوزيره أحمد حسن "يبدو أن هذا الرجل ليس مخلصاً لنا

---

(١) العـــتبى: المصدر السابق جـــ٢ ص٢٥١؛ ابن الأثير: المصدر السابق جـــ٧ ص ١٧٦ (أحداث سنة ٣٨٧هـــ).

(٢) الكرديزى: زين الأخبار جـــ٢ ص٢٩٤٣؛ البيهقى: المصدر السابق ص٧٣٤.

(٣) البيهقى: المصدر السابق ص٧٣٦.

حتى أنه يجيبنا على هذا النحو، ويبدو أن العلاقات بين الخوارزميين والغزنويين بدأت تتوتر منذ ذلك الحين[١].

ومهما يكن من أمر فقد حاول الوزير الغزنوى أحمد حسن أن يدخل فى روع سيده السلطان محمود أنه يستطيع بمكره وتدبيره الوصول الىمعرفة ما إذا كان خوارزمشاه موافقاً لهواهم أو ضدهم، وبدأ خطته بأن أسر لرسول خوارزمشاه قائلا "ما هذه التصورات الباطلة التى يسير عليها أميرك، وما هذه الخيالات التى تتراءى له بشأن إيفاد سفير إلى الخانيين". وقد اخذ من هذا الأمر ذريعة حتى يرغم خوارزمشاه على الاعتراف بالسلطان محمود،وينضم تحت لوائه، وفى ذلك يقول الوزير الغزنوى للرسول الخوارزمى: "أنه (أى خوارزمشاه) يجلب على نفسه التهمة على غير أساس فى أمر سلطاننا بعيد عنه كل البعد، فإذا أراد أن يخلص من هذا القيل والقال.. فلماذا لا يجعل الخطبة باسم السلطان...[٢].

أما عن خوارزمشاه فإنه لما جاء إليه الرسول من كابل وقص عليه ما جرى من وزير محمود الغزنوى وقع فى حيرة من أمره، فإن لم يجب محمود إلى ما أراد ستكون العاقبة وخيمة وقال: "أخشى إذا لم اجعل الخطبة باسمه طوعاً أني حملنى عليها كرهاً،

---

(١) البيهقى: نفسه ٧٣٥-٧٣٧.

(٢) البيهقى: المصدر السابق ص ٧٣٧.

والصواب أن نبعث سفيرا على عجل يتحدث إلى الوزير فى هذا الأمر، على نحو يحملهم على أن يطلبوا منا الخطبة بأنفسهم، فتكون منه منا، ولا يجوز أن نقهر على هذا ". ويتضح من كلام خوارزمشاد أنه كان يخشى على بلاده من سطوة محمود، ومن ناحية أخرى وافق هو شخصيا على طلب السلطان[١].

وأياً كان الأمر فقد دعا خوارزمشاد أعيان جيشه وأكابر رجاله وبين لهم ما ينوى عمله فى أمر الخطبة للسلطان محمود، لكنهم رفضوا ذلك رفضاً تاماً بل تركوا مجلسه غاضبين وكما يذكر البيهقى "خرجوا من عنده فنشروا الأعلام وامتشقوا السيوف وسبوا خوارزمشاد سباً مقذعاً، وقد حاول خوارزمشاد إرضاءهم ولكن دون جدوى"[٢].

ولما رأى خوارزمشاد أنه إذا لم يجب محموداً ويحقق له مآربه فسوف ينتهى الأمر إلى السيف، لذا لجأ إلى خانات تركستان كى يقفوا فى صفه إذا بادر محمود بالهجوم على خوارزم، لكن الخانيين وجدوا من الصواب عدم اتباع السياسة التى يرمى إليها خوارزمشاد، وأجابوه بأن بينهم وبين السلطان محمود عهد وميثاق، ولا يستطيعون نقض عهدهم معه، فإذا أراد خوارزمشاد

---

(١) البيهقى: نفسه، ص٧٣٧.

(٢) البيهقى: نفسه ص٧٣٨.

الصـــلح مع السلطان محمود وينصلح ما فسد بينهما، فإنهم يتوسطون له عنده فقبل خوارزمشاه ذلك[١].

ومهمـــا يكـــن من أمر فقد أصبحت العلاقات بين الدولتين فى غايـــة الـــتوتر، وبدأ الصدام المسلح بينهما وشيكاً. وقد نفذ صبر الســـلطان محمود من تصرفات العاهل الخوارزمى ورجال بلاطه، فلـــم يمض إلا قليلاً حتى جهز- وهو مقيم ببلخ- جيشاً بلغ عدده مائة ألف فارس وراجل، وأرسل إلى خوارزمشاه يهدده بأنه إن لم يخطب له على منابر خوارزم، فسوف يزحف بهذا الجيش لتأديب المعارضـــين لهذا الأمر، ووضع ثلاثة خيارات[٢]، أما خوارزمشاه وأرسلها إليه.

أولهما: أن يخطب له طوعاً أو كرهاً.

ثانيها: أن يرسل المال والهدايا العظيمة التى تليق بالسلطان.

ثالـــثهما: أن يرسل إلى السلطان بأعيان خوارزم وأئمتها وفقهائها لـــيقدموا له الاعـــتذار عمـــا جرى ويطلبوا الصفح، فارتعدت فـــرائص خوارزمشـــاه من رسالة السلطان، ولم يجد بداً من إطاعة أمره، وقرر أن تكون الخطبة باسم السلطان محمود فى نسا وفراوة، فقد كانتا من بلاد دولة خوارزم، وفى سائر البلاد عـــدا العاصمة كركانج، كما أرسل للسلطان ثمانين ألف دينار،

---

(١) البيهقى: نفسه ص٧٣٩-٧٤٠.

(٢) البيهقى: المصدر السابق ص٧٤١.

وثلاثـــة آلاف حصان، وذلك حتى تستقر الأمور "وتبقى المجاملة بينه وبين السلطان قائمة"[١].

ولما علم رجال خوارزمشاه وقواده جيشه وعلى رأسهم كبير الحجاب ألبتكين البخارى بما اقبل عليه أميرهم خوارزمشاه هددوه بالقتل "وصاحوا بأن ليس لمحمود سلطان علينا..." وحاصروا دار الإمـــارة ولحقوا به وقتلوه، وذلك فى يوم الأربعاء منتصف شوال ســـنة ٤٠٧هـ/١٠١٦-١٠١٧م، وبادروا بالبيعة لابن أخيه أبى الحارث محمد بن على بن مأمون وأجلسوه على العرش وكان فى الســـابعة عشـــرة مـــن عمره واستولى ألبتكين على شئون الملك ووزر له أحمد طغان[٢].

أمـــا بالنسبة للسلطان محمود فإنه لما وقف على تلك الأخبار اشتد غضبه وجد فى السير إلى خوارزم، ومن ناحية أخرى أرسل السلطان إلى خانات تركستان يبين لهم سوء ما جرى فى خوارزم، وذكـــر لهم صراحة بأنه سيطالب بالثأر لصهره، وسيستولى على خـــوارزم، حتى تنتهى - على حد قوله- متاعبه ومتاعبها (الإيلك والخـــان) ورغـــم استياء الخانيين لذلك إلا أنهم وافقوه، وعندما وصـــل الســـلطان إلى "خضربند" على حدود خوارزم عين إبراهيم الطائى على مقدمة الجيش وأرسله أمامه وعندما اتخذوا أماكنهم

---

(١) البيهقى: نفسه ص٧٤٢.

(٢) الكرديزى: المصدر السابق جـــ٢ ص٢٩٣، البيهقى: نفسه ص٧٤٢.

وانشـــغلوا بـــأداء صلاة الفجر هجم عليهم خمارتاشى قائد الخوارزميين مـــن كميـــن وقتل منهم جمعاً كبيراً، وعندما وصل الخـــبر إلـــى السلطان عين جيشاً كبيراً من خاصة غلمانه لتعقبه فلحقوا به وأسرود وأحضرود إلى السلطان وعندما وصل السلطان إلـــى قلعة هزاراسب تجمع جيش خوارزم بكامل استعداداته،وبدأت المعـــركة الحاســـمة بين الجيش الغزنوى والخوارزمى، ورغم ما لاقاه السلطان من تعب السفر،وحرارة الجو، فإنه ما لبث أن أوقع الهزيمة بالجيش الخوارزمى وقبض على ألبتكين أثناء فراره عبر نهـــر جـــيحون، ووضـــع كبار قواد الجيش المهزوم فى السلاسل واقتيدوا إلى غزنة، ثم عفا عنهم السلطان بعد ذلك، وولى خوارزم حاجبه الكبير آلتونتاش مؤسس الدولة الثانية فى خوارزم[١].

يلاحـــظ ممـــا ذكـــر أن العلاقات الخوارزمية الغزنوية مرت بفترتيـــن، الأولـــى كانت العلاقات خلالها علاقات ود وحسن جوار

---

(١) البـــيهقى: المصـــدر الســـابق ص٧٤٤-٧٤٥، وفى فتح محمود الخوارزم يقول العنصرى:

جنين عاير شمشر خسروان آثار　　جـــنين كنـــد بزر كان جوكردبا

يتيغ شاه نكرنامة كنشته فحوان　　كـــه راست كوئى ترازنامة تيغ أو

الـــترجمة: هذا يظهر الـــيف الملكى الآثار،وهكذا يفعل العظماء إذا لزم القتال. انظر سيف الملك. ولا تقرأ كتب الأولين، فإن سيفه أكثر أنباء من الكتب (جهار مقالـــة ص١٦٩)، وانظر أيضاً: نظام الدين أحمد بخشى الهروى: طبقات أكبرى ص٢٩.

ومصـــالح مشـــتركة، والثانية علاقات عدائية برزت خلالها أطمـــاع الســـلطان محمـــود الغزنوى فى ضم خوارزم إلى بلاده، ووضـــعها تحـــت نفـــوذه وسيطرته، وقد حقق مراده وقضى على أسرة المامونيين وولى على بلادهم نائبه وكبير حاجبه ألتونتاش.

ومما سبق عرضه خلال صفحات هذا الفصل وضح لنا موقف خوارزمشاه من دولة المأمونيين من الخلافة العباسية، واعترافهم بها أسمياً كغيرهم من حكام الدول المستقلة فى المشرق الإسلامى، وحصـــولهم علـــى تقليد الإمارة من خليفة بغداد، ورغم اعتراف المأمونيـــن بالخلفـــاء العباســـيين إلا أنهـــم كانوا يعترفون أيضاً بالخلافـــة الفاطمـــية فى مصر والاتصال بخلفائها، ولكن فى حيز ضـــيق وذلـــك بسماح دعاتهم بمواصلة نشاطهم والدعوة للخليفة الفـــاطمى فـــى البلاد الخوارزمية، وفى نهاية الفصل تعرفنا على العلاقـــات السياسية بين المأمونيين والدولة الغزنوى والتى انتهت بسقوط دولة خوارزم فى قبضة السلطان محمود الغزنوى.

الفصل الرابع
الحياة الاقتصادية فى خوارزم خلال عصر المأمونيين

اهتم أمراء البيت المأمونى فى خوارزم بالأنشطة الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة ، فازدهرت الأسواق الخوارزمية بالمنتجات المختلفة سواء التى تنتج محلياً أو السلع والبضائع التى ترد إليها من خارج البلاد، وقد ساعد ذلك على ازدهار الحالة المعيشية لسكان خوارزم، كما حصلت الدولة على أموال طائلة استخدمت فى الإنفاق على مرافق الدولة وإعداد جيوشها الغازية والحامية لحدودها والدفاع عن ممتلكاتها وبث الأمن والسلام فى أرجائها.

وقد كان لموقع خوارزم الممتاز فى منطقة وسط آسيا أثره البالغ فى توثيق صلاتها التجارية مع الدول والإمارات الإسلامية من ناحية،ومع العناصر التركية التى تقطن الأراضى المحيطة بخوارزم صوب الشمال والشرق من ناحية أخرى، فوردت إلى الأسواق الخوارزمية العديد من البضائع والسلع المختلفة، وازدهرت حركة البيع والشراء والمبادلة التجارية بين الخوارزميين والتجار القادمين إليهم من البلدان المختلفة.

وفيما يلى نتناول الحديث عن الأنشطة الاقتصادية فى دولة خوارزم خلال عصر المأمونيين بادئين بالنشاط الزراعى والروعى ثم النشاط الصناعى، ويليه النشاط التجارى ويشمل التجارة الداخلية والخارجية، وفى نهاية الأصل نتناول المعاملات المالية

والإجـــراءات الجمركـــية، ونختتم الفصل بالحديث عن الموارد المالية والمصروفات بدولة خوارزم.

النشاط الزراعى والرعوى:

عرفـــنا فيما سبق أن إقليم خوارزم من أهم الأقاليم الزراعية فـــى آســـيا الوسطى، فهو يقع على جانبى نهر جيحون ويستحوذ علـــى دلتاه الخصبة التى يبلغ امتدادها ثلاثمائة ميلاً حتى مصب النهر فى بحيرة خوارزم(١).

وكـــان لـــتعدد النهيرات الآخذة من نهر جيحون العظيم على جانبـــيه الأيسر والأيمن وتخللها فى معظم الأراضى الزراعية، أن ســـهل أمـــام السكان استزراع مساحات واسعة من الأراضى، كما أدى أيضـــاً إلى تعدد المحاصيل الزراعية الحقلية والبستانية على مدار السنة لوجود مصدر المياه الدائم. وكان لكل مدينة من مدن إقلـــيم خوارزم رساتيق تحيط بها، والرستاق زمام يضم عدد كبير مـــن القـــرى الزراعـــية ، فكـــان حول مدينة كاث عدد من هذه الرســـاتيق تعتمد فى ريها على فرعين من أفرع نهر جيحون هما نهر "كاو خواره"، ونهر "كريه".

مثال آخر كانت الرساتيق التى تحيط بمدينة هزاراسب تسقى مـــن نهـــر باسمها يأخذ من يسار جيحون يسمى نهر "هزاراسب" وكانـــت سعته نصف سعة نره كاوخواره، وكان رستاق مزداحكان (أو مزراقان) ويقع فيما بين مجرى نهر جيحون ونهر كردر تسقى

---

(١) لسترنج: المرجع السابق، ص٤٨٦.

اراضـــيه من أنهار صغيرة كثيرة تأخذ من يمين جيحون، ويقال أنه كان فى هذا الرستاق اثنا عشر ألف قرية[١].

وقد شيدت الجسور والسدود والقناطر للاستفادة بمياه الأنهار وري الأراضى الزراعية من ناحية، ومن ناحية أخرى اتقاء خطر الفيضانات العارمة لنهر جيحون والتى كانت تسبب تدمير وتخريب المـــدن والقـــرى رغم ما كانت تجلبه مياه الفيضانات من خصب وخير للزراعة[٢].

وقد انتشرت فى خوارزم زراعة العديد من المحاصيل الحقلية والبســـتانية، كـــان أهمهـــا محاصيل القطن، والسمسم، والقمح، والعنب[٣]، وقد اشتهرت خوارزم بإنتاج أصناف جيدة من البطيخ، وكان مزارعوا البطيخ يستخدمون طريقة عجيبة لحفظ ثمار البطيخ وهـــى طـــريقة "التقديد" وتشبه الآن طريقة تجفيف ثمار الخضر والفاكهة، ذكر القزوينى[٤] أن "بطيخ خوارزم لا يوجد مثله حلاوة وطيباً، ويكون رخيصاً جداً لكثرته وقلة مؤونته، ويقدد ويحمل إلى البلاد للهدايا".

---

(١) الاصطخرى: المسالك والممالك ص ١٦٩؛ ابن حوقل: صورة الأرض ٤٧٩؛ لسترنج: المرجع السابق ص٤٩٥-٤٩٦، ٤٩٨، ٥٠٢.

(٢) ذكـــر أن ســـكان جرجانـــية قد احتالوا فى رد خطر مياه جيحون بإقامة السدود من الخشب والحطـــب، وكان نهر وداك وهو من الأنهار الفرعية التى تأخذ من يسار جيحون، وهو نهر تجرى فيه السفن، وقد ذكر المقدسى أن سدوداً عظيمة أنشئت على امتداد هذا النهر لتقى المدينة من طغيان مياهه (أحسن التقاسيم، ص٢٣٠).

(٣) ابـــن حوقـــل ص٤٨١؛ المقدسى: أحسن التقاسيم ص٢٣٠، ٢٥٣-٢٥٤؛ لسترنج: بلدان الخلافة ص٥٠٢.

(٤) القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد: ص ٥٢١-٥٢٥.

وكـــان زراع خوارزم يولون اهتمامهم بالأشجار الخشبية، وقـــد مر بنا أن خوارزم تقع فى نطاق إقليم الأستبس حيث توجد الحشـــائش الـــتى تصلح للرعى، وتتواجد أنواع من الشجار كان أهمهاشجر التوت، يقول ياقوت[١]: "قل ما يقع نظرك فى رساتيقها (خـــوارزم) على موضع لا عمارة فيه، هذا مع كثرة الشجر بها، والغالب عليه شجر التوت والخلاف لاحتياجهم إليه لعمائرهم وطعم دود الإبريسم (الحرير)".

ومن الأشجار الخشبية الجيدة بخوارزم شجر الحور الأبيض (التوز) ويستخدم خشبه فى صناعة الأثاث وغيره، ومن الأشجار الخشبية صنف يسمى "الطاغ وهو الفضا" وتستخدم فروعه كحطب للتدفئة من شدة برد الشتاء وكان رخيصاً جداً"[٢].

أمـــا عن الثروة الرعوية بإقليم خوارزم فهى لا تقل شأناً عن الـــثروة الزراعـــية، فقد انتشرت المراعى فى مناطق واسعة على حـــدود المـــدن، وبالقرب من المفازات التى تحيط بالإقليم، وكان الســـكان يهـــتمون برعى قطعان كبيرة من الماشية خاصة الضأن والمعز[٣].

الصناعات والحرف فى خوارزم:

ســـاعد وفرة المواد الخام فى خوارزم على انتشار عدد من الصـــناعات المتمـــيزة، وقد أمدتنا المصادر الجغرافية المعاصرة

---

(١) ياقوت: جـــ٣ ص٢٥٤.

(٢) ياقوت: نفس المصدر والصفحة.

(٣) ابن حوقل: ص٤٨١-٤٨٢.

لدولة المأمونيين بمعلومات لا بأس بها عن المواد الخام المعدنية والخامات الزراعية التى استخدمت فى إخراج المصنوعات التى كان يقبل عليها السكان، أو التى تصدر ويطلبها السوق الخارجى.

وأهم الخامات التى استخدمت فى الصناعات بالمدن الخوارزمية نذكر الخامات التى تعتمد عليها صناعات الغزل والنسيج والتطريز وأهمها: القطن، والصوف، والحرير، فقد كان يرتفع من خوارزم ثياب كثيرة من القطن إلى الآفاق وكان يعمل بها أيضاً اللحف، وديباج خاص من خامى القطن والحرير،وكان يصنع من القطن أيضا الأرز والمقاطع(١).

أما عن المنسوجات الصوفية فقد انتشرت تربية واقتناء قطعان كبيرة من الأغنام فى معظم نواحى خوارزم، كما جلبت من بلدان الترك إلى خوارزم أعداد وفيرة منها، وقد استغلت هذه الثروة الحيوانية فى الحصول على اللحوم والألبان والأصواف(٢).

ومهما كان الأمر فقد اهتم سكان خوارزم بصناعة المنسوجات الصوفية، ويرجع ذلك إلى قسوة المناخ هناك واشتداد برودة الجو واستمرار الصقيع والثلوج فترات طويلة من السنة ومن هذه

---

(١) الاصطخرى: المسالك والممالك ص٣٠٤ (ط بيروت)؛ ابن حوقل: صورة الأرض ص٤٨١؛ لسترنج: بلدان الخلافة ص٥٠٢.

(٢) ابن حوقل: المصدر السابق. ص٤٨١.

الصناعة الأكسية ذات الأحجام المختلفة واللبود وثياب الصوف،والبسط التى تصدر إلى البلدان الإسلامية[١].

وصناعة الحرير ومنسوجاته من الصناعات القديمة فى بلاد الصين وآسيا الوسطى، وصناعة الحرير ترتكز أساساً على تواجد أشجار التوت التى تربى على أوراقها دودة القز، وقد انتشرت هذه الأشجار فى الأراضى الخوارزمية انتشاراً واسعاً، ومن ثم قام عدد كبير من السكان بتربية دودة الحرير وإنتاج خامه، كما حفزت دواعى الاستهلاك ومطالب الترف من المنسوجات الحريرية إلى مضاعفة الإنتاج منها، وإلى ازدياد حجم المصدر من هذه المنسوجات إلى خارج البلاد[٢].

وقد تأثرت الصناعات الحريرية فى خوارزم مما كان يصنع فى بلاد الصين ولم يقف التأثير على صناعة النسيج عند حد الصين وحدها، بل إن مصر تركت أثرها عليه أيضاً، ومما يقف دليلاً على ذلك إطلاق اسم الدبيقى (نسبة إلى بلدة دبيق بمصر) على ضرب من النسيج انتشرت صناعته بخوارزم[٣].

ومن السلع والمصنوعات المصنوعات المعدنية بإقليم خوارزم صناعة آلات الحرب التى تحتاجها الثغور والقلاع الإسلامية المواجهة للقبائل التركية الغازية فكان لسكان خوارزم إقبال كبير على عمل السيوف والدروع القوية،وصناعة القسى الجيدة، التى لا

---

(١) ابن حوقل: المصدر السابق، ص ٤٨١.

(٢)الاصطخرى: المسالك والممالك ص٣٠٤؛ ياقوت: جـ٣ ص٢٥٣

(٣) بارتولد: تركستان ص٣٦٦-٣٦٧.

يقــوى علـــى معــط القوس إلا أشد انرجال، كما كان الحدادون الخوارزميون ذات مهارة فى صناعة الأقفال الحديدية[١].

وعــرف أهـــالى خـــوارزم الصناعات التى تعتمد على أنواع الجلـــود المختلفة والفراء، فكان لهم دربة كبيرة بدباغة وتجهيز جلود الأغنام والبقر، وفراء الثعالب والسنمور، والسنجاب، والفنك والقاقم[٢]، ثم تصديرها فى هذه الصورة؛ أو صناعتها فى صورة عـــباءات، ومعـــاطف جلدية كبار كانت تسمى "بالبوستينات" كما صـــنعوا الأبوز وهى القفازات المتخذة من جلود الحيوانات لاتقاء شـــدة البرد والصقيع، - كما أشرنا- ومن المصنوعات الجلدية- أيضـــاً- اللجـــم والســـيور، وسروج "الكيمخت" وهى جلود الحمر الوحشية) [٣].

وبجانب ما ذكرنا من الصناعات التى اشتهرت بإنتاجها مدن خوارزم، كانت هناك أيضاً صناعات أخرى اعتمدت على الخامات الزراعـــية والحيوانية، منها صناعة الشمع واستخدام لحاء شجر الحـــور (التوز) فى عمل أغلفة الدروع، وغراء السمك، والعنبر، والخلنج، والعسل والجبن من اللبن وغيرها[٤].

النشاط التجارى فى خوارزم:

---

(١) المقدسى: أحسن التقاسيم ص٢٥٥؛ لسترنج: المرجع السابق ص ٥٠٢.

(٢) السنجاب: الفنك، القاقم، سبق التعريف بها.

(٣) رحلة ابن فضلان ص٩٨٥؛ المقدسى: نفسه ص ٢٥٥. ص٢٥٦

(٤) لسترنج: نفسه ص٥٠٢.

كانت نهضة خوارزم منذ القدم ترجع إلى اتساع صلاتها التجارية اتساعا ورد ذكره عند معظم الجغرافيين المسلمين، ساعدها على ذلك موقعها الممتاز وسيطرتها على مفاتيح الطرق البرية التجارية فى آسيا الوسطى(١).

ولما أصبحت خوارزم ولاية كبرى من ولايات الدولة الإسلامية فى المشرق ازداد بها النشاط التجارى وكثر عدد التجار الخوارزميين داخل البلاد وخارجها فلم تخلو مدينة من مدن خراسان أو مدن آسيا الوسطى من جمع غفير منهم، وأخذت القوافل التجارية الخارجة من خوارزم والقادمة إليها فى حركة دائبة لا تنقطع خلال أشهر السنة عابرة الطرق والمنافذ التجارية إلى بلدان الترك فى الشرق والشمال، وإلى الأقاليم الإسلامية الأخرى المجاورة لإقليم خوارزم إلى نواحى الجنوب والغرب(٢).

وبعد أن قامت دولة المأمونيين وهى أول دولة مستقلة فى خوارزم شأنها فى ذلك شأن الدول المستقلة فى المشرق الإسلامى، سارع خوارزمشاهيو هذه الدول إلى كسب ود جيرانهم وتوثيق عرى العلاقات التجارية معهم، فأولوا اهتمامهم بشبكات

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية "مادة خوارزم".

(٢) رحلة ابن فضلان ص ٨٠-٨١، ص٩٣، ٩٩؛ ابن حوقل: المصدر السابق ص ٤٨١؛ الإدريسى: نزهة المشتاق جـ٢ ص٦٨٧، ٦٩٩؛ بارتولد: تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ص ٦٦.

الطـرق التجارية للحفاظ على سلامة التجار والمسافرين وتذليل الصعاب أمام تحركاتهم(١).

وفـيما يلـى نتـناول أهم الطرق التجارية البرية والبحرية والـنهرية الـتى ربطت بين المدن الخوارزمية والأقاليم الأخرى وكانـت مجالاً للحركة التجارية وانتقال السلع والبضائع من داخل البلاد إلى خارجها أو التى تجلب إليها.

أولاً: الطرق البرية:

تمتعـت الدولة الخوارزمية فى آسيا الوسطى بشبكة متكاملة من الطرق البرية الرئيسية والفرعية عبرتها القوافل التجارية إلى بلـدان شـرق ووسط آسيا وأوربا والبلدان الإسلامية فى آسيا، ويـرجع الفضـل إلى الجغرافيين والرحالة المسلمين فى تعريفنا بشـبكة الطـرق البرية الرئيسية فى المشرق الإسلامى، والطرق الفرعية التى تتصل بها وتربط المدن الإسلامية بعضها ببعض من ذكـر المسـافات الـتى تحدد هذه الطرق بين كل مدينة وأخرى ووصف حال تلك الطرق ومصادر المياه القريبة منها ليتزود منها المسافرون خلال رحلاتهم التجارية والحالة الأمنية المتوفرة والتى تضمن حفظ ورعاية السالكين.

- الطريق البرى الرئيسى (بغداد - الصين)

اهتم العرب بعد أن ورثوا مملكة الفرس بشبكة الطرق البرية القديمـة،وأحكموا أمـرها ووسعوا خطوطها بما يتفق مع اتساع ملكـتهم الـتى امتدت حتى تخوم الصين شرقاً، وسهوب أوراسيا

---

(١) بارتولد: المرجع السابق ٥٩، ٦٣. وقد تناولنا فيما سبق الحديث عن العلاقات الودية والعدائية بين دولة خوارزم وجيرانها بالتفصيل.

شمالاً،ويعتبر طريق بغداد- خراسان أعظم وأهم الطرق البرية. فهو يربط بين عاصمة الخلافة، وعواصم الدول الإسلامية المستقلة بإيران وآسيا الوسطى[١].

وقد اهتم حكام وأمراء الدول التى يمر بها ذلك الطريق بصيانته وحفظ الأمن على جنباته، فسهل سلوكه للتجار وعمال البريد وطلاب العلم والعلماء، وأصبح بمثابة حلقة اتصال بين المشرق والمغرب الإسلاميين[٢]. وقد ذخرت كتب الجغرافية الإسلامية، بوصف الطريق وصفاً شمولياً، فذكرت مسافاته والمدن والقرى التى تقع على امتداده، والجزء الأكبر من ذلك الطريق يجرى فى الأراضى الإيرانية من بغداد إلىّ مرو الشاهجان (مرو الكبرى) بإقليم خراسان،وبعد أن يغادر الأراضى الخراسانية يبلغ

---

(١) كانت هناك ثلاث طرق رئيسية تبدأ من الحدود الصينية، وتجتاز صحراء جوبى: الطريق الشمالى يمر بواحة خامىل (أيجو) ثم يقطع الجبال المجاورة لبحيرة برقول Barkoul ثم يتماس مع النواحى القريبة من بحيرة بلخاش (بلكاش) ويمتد غرباً الىمدينة تلاس Talas، والطريق الوسط يمتد جنوباً بمحاذاة جبال تيان شان Thian-Chan ثم يجتاز خانق تريك الجبلى غربى كاشغار Kaschgar ثم يتجه إلى إقليمى فرغانة وأسر وشنال (أشروسنة) ماراً بأسواق بلاد الصغد القديمة (سمر قند وبخارى) ثم ينحرف صوب الجنوب الغربى ويجتاز ميرف Merv حتى يتصل إلى إمبراطورية الساسانيين.

أما الطريق الجنوبى فيعبر البلاد التركية إلى اراضى مملكتى خوتان (ختن) ويرقند (ياكند Yarkand) ثم يجتاز هضاب اليامير وإقليمى بادقشان (باذخشان) وتوخارستان (طخارستان) ويصل أخيراً إلى الهند عبر ممر باميان Bamian ومدينة غزنة Gazana بأفغانستان. (هايد: تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى جـ١ ص٢٦-٢٨ ط القاهرة. الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٥م).

(٢) من ذلك الاهتمام بالقلاع وتحصينها، ووضع حاميات من الجند لدرء أى خطر عن المدن التى تقع على طول ذلك الطريق. ابن خرداذبة: المصدر السابق ص٣٥-٣٧؛ انظر المقدمة الجغرافية من البحث.

مدينة آمل على نهر جيحون، ثم يسلك أراضى بلاد ما وراء النهر (آسيا الوسطى) حتى يصل ال بخارى بإقليم السغد (الصفد) حيث تخرج منه شعبة تتجه شمالاً عبر أراضى إقليم خوارزم حتى يصل إلى العاصمة جرجانية (كركانج) ليلتقى مع الطريق الصاعد إلى بلاد البلغار والروس فى شرق أوربا، ثم يواصل الطريق امتداده من بخارى إلى سمر قند، وعند بلدة زامين على حدود إقليم اشروسنة يفترق إلى شعبتين، الأولى تتجه إلى إقليم الشاش[١]، والشعبة الثانية تتجه إلى إقليم فرغانة وأعالى نهر سيحون، ثم يصل إلى أخسيكت، ويمتد إلى أوزكند على تخوم صحراء الصين[٢].

وبجانب الطريق البرى الرئيسى، كانت هناك عدة طرق فرعية ربط بين مدن إقليم خوارزم وأقاليم آسيا الوسطى، وكذلك البلاد التى تقع شمال بحر الخزر.

---

(١) تمتد هذه الشعبة من الشاش إلى طراز ثم تمتد الطريق إلى مدينة ميركى (بركى) وهى مدينة صغيرة دون الطراز بمسافة قدرها ٢١ فرسخاً (٦١ ميلاً)؛ ابن خرداذبة: المصدر السابق، ص ٣٨؛ المقدسى: المصدر السابق ص ٢٢٠.

(٢) انظر ابن خرداذبة: المسالك والممالك ص ٣١-٣٩؛ ابن رستة: الأعلاق النفيسة ص١٤٩؛ المقدسى: أحسن التقاسيم ص٢٦٥-٢٧٠، وإذا تناولنا مراحل الطريق الرئيسى (بغداد-الصين. فنجد المسافات التى بينها بالميل الهاشمى (١٦٠٩ متراً كالتالى: من بغداد الى مرو بخراسان (١٣٩٥)، ومن مرو إلى آمل على نهر جيحون (١٧٤)، ومن آمل إلى بخارى (١٠٨)، شعبة الطريق من بخارى جرجانية عاصمة خوارزم (١٤٩٦) ومن بخارى أيضاً إلى سمر قند (١٨٨) ومن سمرقند عبر زامين إلى الشاش (٢٠٣)؛ انظر (ابن قدامة: الخراج وصنعة الكتابة ص٢٢-٣٢ ط بيروت ١٩٨٨)؛ ابن خرداذبة: المصدر السابق ص ٣١-٣٩؛ اليعقوبى: كتاب البلدان ص٣٨-٣٩ ط بيروت ١٩٨٨؛ ابن رستة: المصدر السابق ص١٤٩-١٥٥؛ المقدسى: المصدر السابق ٢٦٥-٢٧٠.

أ – الطـرق الفرعـية الـتى ربطت مدن خوارزم بأقاليم آسيا الوسطى:

نتناول فيما يلى الطرق التى ربطت مدن إقليم خوارزم بأقاليم مـا وراء النهر. مما ساعد على ازدهار النشاط التجارى، وانتقال السلع التجارية بين خوارزم والمدن الإسلامية فى تلك المنطقة.

سـبقت الإشـارة إلى الطريق الرئيسى الذى يربط بين أقاليم آسـيا الوسـطى والأقالـيم الإيرانية، وكذلك أقاليم العراق ومقر الخلافـة العباسية فى بغداد،وقد ربط هذا الطريق أيضاً بين معظم الأقاليم الواقعة على نهر جيحون وسيحون حتى تخوم بلاد الصين، وقـد خرجـت مـن ذلك الطريق طرق فرعية أخرى تمت شبكة الاتصالات البرية فى تلك المنقطة، ومن هذه الطرق طريق فرعى يربط بين إقليم الصغانيان وبخارا،ويبدأ من بخارا ثم يمر بنخشب فـى مفـازة طولها ثلاثين فرسخاً فيما عدة رباطات ثم يصل إلى الصغانيان ويبلغ امتداد هذا الطريق تمام العشر مراحل[١].

والطـريق الفرعى الثانى يربط مدينة ترمذ على نهر جيحون بـبلاد فرغانة ماراً بالختل والصغانيان، وهذا الطريق أيضاً يتصل بطريقيـن فرعييـن أحدهما يخرج من سمرقند والآخر يخرج من بخارى ويلتقيان عند مدينتى كش ونسف[٢].

---

(١) المقدسى: أحسن التقاسيم ص٢٦٧.

(٢) ابـن خـرداذبة: المصـدر السـابق ص٤١؛ قدامة بن جعفر: الخراج وصنعة الكتابة ص٤١؛ لسترنج: بلدان الخلافة ص٥١٥.

وقد ارتبطت المدن الخوارزمية بالطريقين السابقين، بطريق فرعى يخرج من عاصمتها القديمة "كاث" ويسير هذا الطريق محاذياً لضفة جيحون اليمنى بعد أن يمر على المدن التى تقع عليها ثم يتجه إلى الجنوب الشرقى وينتهى فى مدينة بخارى بإقليم الصفد، حيث تلتقى الطرق الثلاث هناك[١].

ب- الطرق البرية بين خوارزم والبلاد الواقعة شمال بحر الخزر:

كانت منطقة السهوب الأوراسية تضم عناصر مختلفة من الترك وغيرهم، وتبدأ من بلاد الخزر التى تقع شمال بحر الخزر مباشرة، ثم بلاد برطاس (برداس) والبلغار[٢] والروس، وقد اتصلت خوارزم بتلك العناصر بطريقين مهمين عبرتهما قوافل التجارة وسلكهما أيضاً العلماء وطلبة العلم والدعاة، لنشر الإسلام والحضارة الإسلامية هناك.

<u>الطريق الأول</u> ويبدأ من بلاد برطاس ويمر ببلاد بلغار ويصل إلى كبيف عاصمة الروس،ويتجه هذا الطريق إلى الجنوب عبر بلاد الخزر ثم إلى جرجان طبرستان والرى[٣].

---

(١) لسترنج: المصدر السابق ص ٥١٦.

(٢) ذكر ابن رستة اسم برطاس ببرداس باستبدال الطاء بالدال، كما رسم كلمة بلغار ببلكار باستبدال الغين بالكاف أو الكاف الفارسى (كـ) الذى يشبه فى نطقه حرف الجيم القاهرية. الأعلاق النفيسة، ص١٣٠-١٣١.

(٣) ابن خرداذبة: المسالك والممالك ص ١٣٢؛ ابن رستة: المصدر السابق ص ١٣٠-١٣١، ١٣٤؛ موريس لومبارد: الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامى ص٦٧.

والطـــريق الـــثانى يبدأ من بلاد بلغار ثم إلى خمليج مدينة الخزر ثم عبر بحر الخزر إلى خوارزم ليلتقى مع الطريق الرئيسى المتجه من بغداد وحتى تخوم بلاد الصين[١]، وقد سلك ابن فضلان فـــى رحلـــته إلـــى بلغـــار ذلك الطريق، فبعد أن غادر الأراضى الخوارزمـــية، دخل مفازة الترك الغزية، واتجه شمال بحر الخزر، مـــاراً بمغاوز قبائل البجناك والباشرد حتى وصل إلى عاصمة ملك البلغار[٢].

ثانياً: الطرق البحرية والنهرية:

يقع بحر الخزر على الحدود الغربية لإقليم خوارزم،وهو يمثل الطـــريق الـــبحرى الوحـــيد الذى ربط بين دولة خوارزم والقبائل التركية المحيطة به من الشرق والشمال، ورغم أن هذا البحر من البحار المغلقة إلا أن نهر إتل (الفولجا) المدخل الوحيد له، وينبع نهـــر إتل من بلاد الروس شمالاً، حتى أطلق عليه ابن حوقل "نهر الـــروس" ويصب فى بحر الخزر على ساحله الشمالى، وتقع عليه مدينة "أتل" عاصمة الخزر[٣].

وتقـــع على امتداد نهر إتل من منبعه الىمصبه عدة شعوب كالروس، والبلغار،وبرطاس، (برداس) والخزر، وفيه يسافر التجار الخوارزميون ويجلبون الوبر كالسمور والقاقم والسنجاب والعسل

---

(١) ابن خرداذبة: المصدر السابق ص١٣٢؛ المقدسى: أحسن التقاسيم ص٢٧٢.

(٢) رحلة ابن فضلان: صفحات متفرقة (٩١، ١٠٦، ١٠٧، ١١٣).

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض ص ٣٨٩.

والشمع. وكذلك "جلود الخز التى تحمل إلى الآفاق. ولا تكون إلا فى ناحية بلغار والروس"(١).

وقد كان الخوارزميون مهيمنين على تجارة بحر الخزر، فكانوا أصحاب الصولة والجولة، ذكر ابن حوقل أن "الخز والأوبار النفيسة تخرج إلى خوارزم لكثرة دخول الخوازمية البلغار، والصقالبة، وغزوهم إياهم والغارات عليهم وسبيهم، ومصب تجارة الروسية على دائم الأوقات إلى خزران، وكان عليهم فيما يوردونه نحو العشر من أموالهم"(٢).

ومهما كان الأمر فإن أهم الموانى على بحر الخزر ميناء "أبسكون" وهو فرضة تجارة هذا البحر،وكان به سوق كبير لتجارة الحرير، وتقع شمال أبسكون وعلى مسافة خمسين فرسخاً (١٥٠ ميلاً) ناحية دهستان، وهى بلد مشهور بجوار خوارزم، وبجوارها خليج ضحل فى بحر الخزر، كان السفن ترسو فيه(٣).

أما عن الملاحة النهرية فى دولة خوارزم فكانت تعتمد على نهر جيحون وفريعاته المنبعثة على جانبيه الشرقى (الأيمن) والغربى (الأيسر)، ونهر جيحون- كما مر بنا- هو أعظم أنهار آسيا الوسطى، ويبدأ جريانه من بلاد التبت ثم يمر بأقاليم:

---

(١) المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجواهر جـ١ ص١٧٩، ١٨١ ط بيروت؛ ابن رستة: الأعلاق النفيسة ص ١٣٠-١٣١.

(٢) ابن حوقل: ص ٣٩٢.

(٣) ياقوت جـ٤ ص٣٢٨؛ لسترنج: ص٤٢٠ (اشتهرت آبسكون فى التاريخ لكونها نهاية المطاف، للسلطان الخوارزمى علاء الدين محمد أثناء مطاردة المغول له حيث توفى فيها سنة ٦١٧هـ (١٢٢٠م)؛ ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ٩ ص٣٣٤.

وخان،وبذخشـــان ثـــم الخـــتل، وقباذيان، والصغانيان، فالسغد (الصغد) وأخيراً يعبر إقليم خوارزم حتى يصب فى بحيرتها ،بحر خـــوارزم)؛ وهـــو صالح للملاحة وسير السفن المحملة البضائع طـــوال العام، ما عدا أشهر الشتاء حيث يتجمد ماؤه وتسير عليه المارة والدواب المحملة[١].

والجزء الأول من جيحون- الممتد من الشرق حتى مدينة آمل فـــى الغـــرب تقع عليه عدة مدن ومحطات، تجارية مزدهر، فعلى شطه من ناحية خراسان تقع مدن: آمل، وزم، وتند، ومدينتا آمل وزم متقاربتان فى الكبر، بهما أسوقا رائجة وسلع متنوعة، وآمل مجمع طرق خراسان إلى ما وراء النهر، ومحط التجار القادمين، ومديـــنة "زم" معـــبر ما وراء النهر إلى خراسان، ومدينة "ترمز" كانت فرضة نواحى الأقاليم الواقعة على يسار جيحون[٢].

أما عن امتداد جيحون فى أراضى إقليم خوارزم، فكانت تلتقى على جانبيه الأيمن والأيسر- كما أشرنا آنفاً- عدة أنهار معظمها صـــالحة لعـــبور الســـفن الـــتجارية وتقع عليها المدن التجارية بخـــوارزم، وأهـــم هـــذه الأنهـــار: كاوخواره وتجرى فيه السفن المتجهة شمالاً إلى مدينة كاث،وقبل التقاء نهر كاوخواره بجيحون كان يتصل به نهر "كريه"، ومنها أيضاً نهر خيوه وتقع عليه مدينة خيوه تعبر السفن من جيحون إليها،ونهر جردور، ونهر هزاراسب

---

(١) الاصطخرى: المصدر السابق ص ١٦٧-١٦٨، ١٧٠.

(٢) اليعقوبى: كتاب البلدان ص٥٧-٥٨؛ الاصطخرى: نفسه ص ١٥٧، ١٦٧.

ونهـــر كردران خاس وتقع عليه مدينة باسمه، وكل هذه الأنهار صالحة للملاحة النهرية[١].

وفيما يلى نتناول فيما يلى النشاط التجارى والأسواق التجارية فـــى المـــدن الخوارزمية، وأهم السلع التى كانت تعرض فى هذه الأسواق، واهتمام الحكومة بالحركة التجارية داخل هذه الأسواق ومراقبـــتها عـــن طـــريق المحتسبين. ثم نعرض تجارة خوارزم الخارجية والأسواق التى كانت تتعامل معها، وأهم السلع الصادرة من خوارزم إلى هذه الأسواق، وكذلك أهم السلع التى كانت تجلب من الأسواق الخارجية إلى دولة خوارزم.

التجارة الداخلية والخارجية لدولة المأمونيين:

شـــهدت دولـــة خوارزم على عهد المأمونيين نشاطاً تجارياً مزدهراً، حيث انتشرت الأسواق فى المدن والقرى، فلم تخلو مدينة أو قـــرية مـــن ســـوق قـــائم بها على مدار السنة، يكتظ بالسلع والمعروضـــات المختلفة من المنتجات المحلية أو التى تجلب من الأقالـــيم الإسلامية الأخرى، أو من بلاد الترك التى تحيط بالحدود الخوارزمية فى آسيا وأوربا[٢].

- التجارة الداخلية:

كانـــت معظم الأسواق المقامة فى مدن وقرى خوارزم أسواقاً دائمةً، أى يتم فيها البيع والشراء طوال أيام السنة، وقد يرجع ذلك

---

(١) الاصطخرى: ص ١٦٧، ١٦٩؛ المقدسى: ص٢٣٣.

(٢) ياقوت: جـ٣ ص٢٥٣.

إلـــى اســـتمرار الحـــركة التجارية فى البلاد وانتقال التجار بين الأســـواق بتجاراتهم المختلفة، وقد سهل عليهم ذلك تمتع خوارزم بشـــبكة محكمة من الطرق البرية التجارية التى ربطت بين مدنها وقـــراها مـــن ناحـــية، وربطتها أيضاً بالطرق التجارية العالمية المعـــروفة آنذاك- كما مر بنا- من ناحية أخرى، أضف إلى ذلك الـــدور الـــذى لعبـــته الملاحة النهرية خاصة وأن مدن خوارزم الـــتجارية كانت تقع إما على مجرى نهر جيحون أو على الأنهار التى تنبثق منه على جانبيه الشرقى والغربى، وهى كما رأينا كانت صالحة للملاحة ومرور السفن المحملة بالبضائع[١].

- سوق الجرجانية:

أخـــذت الجرجانـــية مكانـــتها وأصبحت من المدن الإسلامية الكـــبرى فى المشرق بعد أن اتخذها المأمونيون عاصمة لدولتهم، ومنذ ذلك الحين أخذت تباشر دورها كقصبة للبلاد وتستقبل التجار والعلماء من البلاد الخوارزمية أو البلدان الأخرى، قال ياقوت[٢]: "لا أعلـــم أنـــى رأيـــت اعظم منها مدينة، ولا اكثر أموالاً وأحسن أحـــوالاً"، ونظراً لكثرة السلع المصنوعة بها أو الواردة إليها من الداخـــل والخـــارج أن اصـــبح سوقها التجارى من أعظم أسواق العواصـــم الإسلامية خلال ذلك العهد ومن معروضات هذا السوق الســـلع الغذائية كالقمح، والسمسم، والعنب، والبطيخ الخوارزمى المشـــهور المقـــدد (المجفف) الذى كان يحمل إلى الآفاق، وكان

---

(١) تناولنا فيما سبق الطرق التجارية البرية والنهرية بالتفصيل.

(٢) معجم البلدان، جـ٣ ص٤٥.

لوجود الخامات اللازمة لصناعة المنسوجات المختلفة من قطن وصوف وحرير أن أنتجت هذه المدينة ثياب اللحف، والديباج المنسوج من القطن والحرير، والأرز والمقانع من القطن والحرير- أيضاً- وغيرها من الثياب الملونة، والملابس الصوفية والجلدية[١].

ومن السلع التجارية التى كانت من معروضات سوق العاصمة أنواع الغراء، والشمع، ولحاء شجر الحور الأبيض المسمى التوز، ويتخذ غلافاً للدروع، والعنبر، والسيوف والدروع والقسى، والأقفال الحديد وغيرها[٢].

وبعد أن تحدثنا عن النشاط التجارى فى سوق العاصمة، نعطى نماذج أخرى لبعض الأسواق الكبرى فى خوارزم، وأهمها:

- سوق كاث التجارى:

مدينة كاث كانت العاصمة للخوارزمشاهيين فى خوارزم، ولما توحدت خوارزم تحت قبضة المأمونيين، فقدت كاث مركزها كعاصمة أولى للبلاد، بعد أن حلت محلها جرجانية، لكنها لم تفقد نشاطها التجارى، ويصف لنا المقدسى[٣] كاث بقوله: "كانوا يسمونها شهرستان وهى نحو نيسابور وأكبر من بخارى، وهى شرقى النهر (جيحون)، لها جامع وسط الأسواق على أساطين حجارة سود إلى قامة، ثم فوقها سوارى الخشب،ودار الإمارة فى

---

(١) ابن حوقل: صورة الأرض ص٤٨١-٤٨٢.

(٢) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠٢.

(٣) أحسن التقاسيم، ص٢٢٩

وسـط البلد، ولهم قهندز (قلعة) قد خربه النهر، ولهم أنهار فى البلد، وهو نفيس ذو علماء وأدباء،ومياسير، وخيرات وتجارات... ".

وكانت كاث كنظيرتها جرجانية ملتقى للطرق البرية الصالحة للتجارة والسفر،وقد أشرنا إلى ارتباطها بطرق التجارة البرية مع أقاليم ما وراء النهر، وبهذه الطرق الفرعية ارتبطت بالطريق البرى الرئيسى بغداد- الصين، لذلك كانت محطاً للتجار وبضائعهم وسلعهم من مختلف الأقطار[١].

- أسواق أخرى:

ومن الأسواق التجارية فى خوارزم سوق مدينة هزاراسب (ومعناها بالفارسية ألف فرس) وهى على القرب من ضفة جيحون الشرقية، ولها نهر باسمها يلتقى مع جيحون، وهو صالح للملاحة ومرو السفن، وسكان هذه المدينة يعملون بالصناعة، خاصة صناعة النسج، ويعملون أيضاً بالتجارة،وقد وصفها ياقوت الحموى[٢] بأنها "مدينة حصينة جيدة، فيها أسواق كثيرة، وبزازون، وأهل ثروة".

ومن المدن الخوارزمية ذات الأسواق التجارية العامرة مدينة "جكربند" وهى مدينة جميلة كما وصفها المقدسى[٣] تحف بأنهارها الأشجار والبساتين، لها سوق ممتد، اقيم فى وسطه جامع حسن،

---

(١) لسترنج: المرجع السابق ص ٥١٦.

(٢) معجم البلدان، جـ٨ ص٤٨٨.

(٣) أحسن التقاسيم. ص ٢٣٠

وعلى القرب منها كانت مدينة "درغان". وهى تقارب الجرجانية العاصمة كبرا وازدهارا، وكانت أول مدينة عظيمة فى خوارزم تقوم على الطريق الآتى من مرو[١].

ومن مدن خوارزم التجارية- أيضا- مدينة "أرثخشميثن"، وكانت تقع على الطرق التجارية البرية الموصلة للعاصمتين كاث وجرجانية، وكذلك على الطريق الممتد إلى مدينة مرو بإقليم خراسان، وصفها ياقوت[٢] وكان قد أقام فيها سنة ٦١٦هـ (١٢١٩م) بأنها "مدينة كبيرة، ذات أسواق عامرة، ونعمة وافرة، وهى فى قدر نصيبين (من أعمال الجزيرة) إلا أنها أعمر وآهل منها".

وقد خضعت الأسواق الخوارزمية للمراقبة من المحتسبين شأنها فى ذلك شأن الأسواق فى الأقاليم الإسلامية الأخرى، وقد أولى الخوارزمشاهيون اهتمامهم بالحركة التجارية داخل الأسواق، وتوفير الأمن والأمان لروادها سكان البلاد أو التجار القادمين من الخارج من المسلمين أو غير المسلمين من الأجناس المختلفة، كما وضعت الحكومة الضرائب والمكوس على السلع التجارية المتنوعة لجمع أكبر قدر من المال لخزينة الدولة لدفع رواتب الجند وللإنفاق على مرافق الدولة المختلفة[٣].

التجارة الخارجية:

---

(١) ياقوت: جـ٤ ص٢٩٧.

(٢) معجم البلدان. جـ١ ص١١٩.

(٣) بارتولد. تركستان ص ٣٧٠-٣٧١.

يرجع اتصال خوارزم بالعالم الخارجي إلى عهد بعيد، وازداد ذلك بعد الفتح الإسلامي، وأصبح أهل خوارزم أكثر انتشارا وسفرا، وكان أكثر سكان آسيا الوسطى إفادة من التجارة مع الرعاة، هم الخوارزميون فكانت تعتمد ثروتهم كما يقول الأصطخري[١]، على تجارتهم مع الترك، فمن كركانج (جرجانية) كانت تخرج القوافل إلى خراسان جنوباً، وإلى الخزر غرباً[٢].

وقد كان معظم التجار بخراسان من أهل خوارزم حتى أنه لم تكن هناك مدينة كبيرة بخراسان إلا وكان بها جمع كبير من أهل خوارزم، وكان يميزهم عن السكان المحليين قلانسهم الطويلة التى يلبسونها على رؤوسهم، ويقول المقدسى[٣]: "أنه قل أن التقى بإمام فى الفقه أو الأدب أو القرآن إلا وله تلميذ خوارزمى"

وكان من آثار ازدهار النشاط التجارى للخورازميين خارج بلادهم وطلب السوق العالمى لمنتجات خوارزم أن اهتم الأهلون بصناعاتهم المختلفة فزادوا فيها وأتقنوها، كما أفادت هيمنة خوارزم على طرق ومنافذ التجار على انتقال قوافلهم التجارية إلى الأقاليم الإسلامية المحيطة بهم، وإلى البلدان التركية شرقاً إلى

---

(١) المسالك والممالك ص ١٧٠؛ ابن حوقل: صورة الأرض ص ٤٨١-٤٨٢.

(٢) لسترنج: بلدان الخلافة ص ٤٩١

(٣) أحسن التقاسيم ص ٢٢٧، ٢٢٩؛ انظر أيضاً: ابن حوقل، صورة الأرض ص ٤٨١.

حـدود بـلاد الصـين وغـرباً ثم شمالاً إلى بلاد الخزر وبلغار والروس[١].

ونشـير فيما يلى إلى أهم السلع التى كانت تصدرها خوارزم إلـى العالم الخارجى، كذلك التى تجلب إليها من السوق العالمى، كان من السلع والمنتجات الخوارزمية التى تجلب منها إلى الآفاق المنسـوجات والأقمشـة والثياب القطنية والحريرية والصوفية، والأسـلحة، كالسـيوف والقسـى والـدروع، والأقفال الحديدية، والحـبوب، والفواكـه والعنـب والسمسم والعسل، والمصنوعات الجلدية، وغراء السمك[٢].

أمـا عن السلع والتجارات التى كانت تجلب إلى خوارزم من خارجهـا نذكـر: أنـواع الغراء وأعلاها من بلاد بلغار والروس والخزر وذكر المقدسى[٣]: أصنافاً كثيرة منها ومما اشتملت عليه: فـراء الدلـق (أو الدالة) والسمور، والثعالب والسنجاب، والقاقم والفنك وخركوش ملون،ومن أهم هذه السلع أيضاً الأغنام والجمال التركية،وجلود الجمال، هذا غير ما يرد إلى البلاد الخوارزمية من السـلع التى كانت تجلب من الأسواق الإسلامية والبلدان العربية

---

(١) ابن رستة: الأعلاق النفيسة ص١٣٠-١٣١، ١٣٤؛ ابن خرداذبة: المصدر السابق ص ١٣٢؛ رحلـة ابن فضلان ص ٩١، ١٠٦، ١٠٧، ١١٣؛ موريس لومبارد: الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامى ، ص٦٧.

(٢) ابن حوقل: ص٤٨١؛ لسترنج: ص٥٠٢.

(٣) أحسـن التقاسـيم ص٢٥٤-٢٥٥؛ الدلة (الدلق) حيوان يشبه السمور، يستفاد من جلده، خـركوش: الأرنب بالفارسية (انظر أحسن التقاسيم ص٢٥٤ حاشية ١٠، ص٢٥٥ حاشية ١

عن طريق القوافل التجارية التى كانت تسلك الطريق البرى الرئيسى من بغداد عاصمة الخلافة، ومن الطرق الفرعية التى تمتد إلى المدن الداخلية بخوارزم خاصة المعادن والأحجار الكريمة كاللؤلؤ والعتيق والزبرجد وقضبان الحديد والثياب الرقاق والملونة والحلل اليمانية والبرود والعطور وغيرها[١].

- تجارة الرقيق:

كان لتجار الرقيق فى العصور الوسطى ثلاث مناطق رئيسية فى العالم لجلب الأعداد الهائلة من الرقيق، وهى: بلاد الصقالبة وتحتل الدرجة الأولى ومنها اشتقت كلمة (Esclave)، وهى بلاد غابات أوربا الشرقية والوسطى، ثم بلاد الأتراك أو التركستان فى سهوب آسيا الوسطى، وأخيراً إلى بعض المناطق الإفريقية"[٢].

وأفواج رقيق الصقالبة كانت تأتى من بلاد الصقالبة ثم تعبر بلاد الخزر على نهر إتل "الفولجا" الأدنى، وكانت مدينة إتل العاصمة الخزرية تتقاضى رسوماً على مرور الرقيق (ترانسيت)، ثم يتم توزيعهم بين الطريق البرى باتجاه دربند وأرمينية، ثم إلى طبرستان فالرى، وأخيراً إلى بغداد، وهناك طريق عبور آخر عن طريق بلاد البلغار، ثم إلى جرجانية عاصمة دولة خوارزم، حيث

---

(١) الجاحظ: التبصر بالتجارة ص٢٨-٣٦ (ط ثانية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٣م)؛ ابن خرداذبة: ص٦٩؛ ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص ٢٣٠، ٢٣١ (ط أولى- بيروت ١٩٨٨م).

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٤٨٢؛ موريس لومبارد: المرجع السابق ص ٢٦٠.

يـــتجمع عدد كبير من آسيا الوسطى يتم نقلهم إلى بلاد ما بين النهرين، والبلدان الإسلامية الأخرى[١].

المعاملات المالية والإجراءات الجمركية:

كانـــت وسيلة التعامل التجارى فى دولة خوارزم تتم بإحدى وســـيلتين: الأولـــى باســـتعمال الـــنقود المـــتعارف عليها آنذاك والمســـموح بتداولها كالدراهم سواء فى الأسواق الداخلية أو مع الـــدول والأقاليم الإسلامية الأخرى، والثانية بنظام المقايضة وهى مقايضة (استبدال) سلعة بأخرى[٢]، فقد كان التجار الخورازميون يســـتبدلون المنســـوجات الصـــوفية والقطنية بالمنتجات والسلع التركية[٣].

وتشير المصادر إلى أن أول دار لسك النقود فى خوارزم كانت بمديـــنة "فيل" حيث تم اكتشاف أول درهم ضرب فى هذه المدينة علـــى العهد الأموى، وكانت "فيل" هذه أول عاصمة لخوارزم قبل كاث وجرجانية[٤].

وقـــد كان التعامل فى منطقة آسيا الوسطى بالدراهم الفضية الخالصة ضرب مدينة بخارى،وكانت هذه الدراهم متداولة منذ عهد الخلـــيفة الراشد أبى بكر الصديق رضى الله عنه، واستمر التعامل

---

(١) ابـــن حوقـــل: صورة الأرض ص٣٩٢، ٤٨٢؛ المقدسى: المصدر السابق ص ٢٥٥؛ موريس لومبارد: نفس المرجع ص٢٦١.

(٢) ابن حوقل: المصدر السابق ص٤٦٩.

(٣) الاصطخرى: المصدر السابق، ص ؛ بارتولد: تركستان ص٣٦٨.

(٤) الطبرى جـــ٦ ص٤٧٠-٤٧١؛ عبد الرحمن فهمى: موسوعة النقود العربية ص٣٦٥.

بهـا خـلال عصر الأمويين،وبداية العصر العباسى الأول،وقرب نهاية القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) كانت هذه السكة قد خرجت من التداول،وحلت محلها السكة الخوارزمية[١].

استمر التعامل سواء فى التجارة أو جبى الخراج بالدراهم الخوارزمية وفى رواية لابن خرداذبة ترجع إلى عامى ٢١١، ٢١٢هـ (٨٢٦-٨٢٨م) تشير إلى استخدام الدراهم الخوارزمية فى المعاملات التجارية والخراج معاً[٢].

وقبيل توحيد البلدان الخوارزمية وقيام دولة المأمونيين ضرب بخوارزم نقود خوارزمية، يرجع تاريخها إلى سنتى ٣٤٨هـ، ٣٦٦هـ (٩٥٩-٩٦٠، ٩٧٦-٩٩٧م) ضربها خوارزمشاد أحمد بن محمد والد أبى عبد الله محمد، واستمر الحال على ذلك خلال عهد دولة المأمونيين،ودولتى آلتونتاش وأنوشتكين، وانتشرت باتساع دولة خوارزم دور سك النقود[٣].

ومن الوسائل التى استخدمت لتيسير العمليات المالية والتجارية فى بلدان العالم الإسلامى، الصكوك والسفاتج[٤]. والصك

---

(١) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص ٤٤.

(٢) ابن خرداذبة: المصدر السابق ص ٤٤-٤٥.

(٣) زامباور، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، جـ٢ ص ٣٧٣، دائرة المعارف الإسلامية، مادة خوارزم.

(٤) السفاتج: مفردها سفتجة. وهى معرب كلمة "سفته است" وتعنى ورقة مالية أو سند تجارى. أو حوالة صادرة من دائن يكلف فيها مدينه دفع مبلغ معين فى تاريخ معين لأذن شخص ثالث. أو لإذن الدائن نفسه. المعجم الوسيط. جـ١ ص٤٤٨؛ المعجم الذهبى (فارسى- عربى) ص ٣٤٨.

كان يحمل أسماء المستحقين وعددهم وما يستحقونه من المال، أما السفاتج فهى عبارة عن أوراق مالية أو خطابات تضمن قيمة المبالغ التى يأخذها الصرافون والجهابذة[١] من التجار وغيرهم، وهى قابلة الصرف من أى بلد من عملائهم[٢].

والسفاتج والصكوك كانت تستخدم بكثرة بين التجار المسافرين من بلد إلى بلد آخر، وذلك ضماناً من عمليات النهب والسرقة، كما استخدمت أيضاً بين الأفراد وبين الولاة فى الأقاليم إلى جانب التجار، وكانت تحدد موعد استحقاق السفتجة للصرف سواء من التجار أو الصراف، وتوقع السفتجة من صاحبها للصراف أو التاجر متى يستحق صرفها[٣].

وقد أدى استخدام السفاتج والصكوك إلى ظهور الصرافين والجهابذة وكان ذلك من مظاهر توسع الأعمال التجارية فى بلدان المشرق الإسلامى، وبذلك كثر الصرافون فى معظم المدن والأسواق التجارية، وكان لكل جهبذ أو صراف صكوك التى تحمل شارته[٤].

الموارد المالية والمصروفات:

---

(١) محمد جمال الدين سرور، تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ص١٦٣؛ محمد محمود إدريس، تاريخ العراق والمشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى الأول ص ٢٢٧.

(٢) محمد جمال الدين سرور، المرجع السابق ص ١٦٣.

(٣) محمد جمال الدين سرور، المرجع السابق ص ١٦٣-١٦٤.

(٤) الدورى، تاريخ العراق الاقتصادى، ص ١٦٩-١٧٠؛ محمد محمود إدريس، المرجع السابق ص ٢٢٨.

تشمل هذه الموارد الخراج المضروب على الأراضى. وعشور التجارة وبعض المكوس الأخرى.

١- الخراج:

كان خراج الأراضى على عهد السامانيين فى بلاد ما وراء النهر، الجريب يحصل عليه من ربع درهم إلى ثلثى درهم، وقد يزاد هذا الخراج إلى ثلاثة أرباع الدرهم،وكان ذلك على عهد تبعية خوارزم لسلطان السامانيين تبعية اسمية،وهذا الخراج كان يحصل من المزارعين كما يقول ابن حوقل[١] "فى كل سنة دارة غير منقطعة أو ممنوعة.. ويعم ذلك سائر أهل المملكة عند آخر السنة..".

وكان خراج خوارزم زمن ابن حوقل[٢] وهو قبيل أن تتوحد تحت إمرة المأمونيين بفترة قليلة قد بلغ ألف وستمائة درهم، ويبدو من كلام ابن حوقل[٣] فى موضع آخر أن هذا الخراج المحصل هو نصف الخراج السنوى، أى أن خراج الأراضى الخوارزمية يبلغ ثلاثة آلاف ومائتان درهم، حيث أن الخراج كان يحصل على ستة أشهر دفعة.

٢- عشور التجارة:

كانت تحصل على السلع الواردة إلى الموانى والثغور التجارية رسوماً فى صورة مكوس، وتعتبر الضريبة التى كانت تفرض على

---

(١) صورة الأرض ص٤٦٩.

(٢) صورة الأرض ص٤٧٠.

(٣) صورة الأرض ص٤٦٩.

التجارة الواردة من موارد الدولة المالية وكيفية تحصيل هذه الضريبة كالآتى:

١- إذا أقام التجار القادمون بالبلاد والموانى الإسلامية فكانت تفرض عليهم ضريبة تبلغ ٢٠/١ من قيمة بضائعهم وتجبى مرة فى السنة متى تجاوزت قيمة تلك البضائع مائتى درهم.

٢- أما إذا كان التجار القادمون إلى الثغور والمدن التجارية لم يقرروا الإقامة فى البلاد الإسلامية فكانت تجبى عليهم ضريبة تبلغ ١٠/١ فقط من قيمة بضائعهم على طريقة زيادة قيمتها على مائتى درهم(١).

٣- المكوس:

كانت هناك عدة مكوس تحصل من جهات مختلفة، وهى من الموارد المالية التى تدخل خزينة الدولة،وكان أهم هذه المكوس ما يجمع عادة عند معابر نهر جيحون بمقدار درهمين على الحمل، ودرهم على أمتعة الراكب (سواء كان ممتطياً جواداً أو حماراً)، وفى منازل الوصول (الجهات المرسل إليها السلع التجارية) كان يجبى ما بين الدرهم، ونصف الدرهم(٢).

كما كانت تجبى على الرقيق الوارد إلى بلاد ما وراء النهر وخوارزم مكوساً بلغت قيمتها مائة درهم، وكانت هذه القيمة

---

(١) يحيى بن آدم: كتاب الخراج ص١٠-١١، ص١٢٦، (ط القاهرة ١٣٤٧هـ)؛ محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ص ١١٩ ؛ محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى الأول ص ٢١٧.

(٢) بارتولد: تركستان، ص٣٧٠-٣٧١.

نفسها تجبى عند جلب الجوارى من الترك، أما النساء فكان يجبى عليهن ما بين العشرين إلى الثلاثين درهماً فحسب[١].

المصروفات:

تشمل هذه المصروفات رواتب الجند ورجال السيف والقلم[٢]، ومصروفات للإنفاق على مرافق الخدمات العامة، ومرافق الزراعة، وحراسة الطرق والموانى وإنشائها وتجديدها.

وقد كان دفع أرزاق الجند وعمال الحكومة أكثر أوجه الصرف،وكانت رواتب عمال الحكومة ثابتة فى جميع ولايات الدولة على عهد الدول المتتابعة فى آسيا الوسطى (الدولة السامانية والغزنوية ودولة خوارزم)، كما اكتفى حكام هذه الدول بدفع أرزاق رجالهم فحسب، ولم يمنحوهم الإقطاعات إلا فى حالات خاصة[٣].

مما سبق يتبين لنا مدى ازدهار الأنشطة الاقتصادية فى دولة خوارزم فى مجال الزراعة والرعى،وفى مجال الصناعات الحرفية،وأيضاً فى مجال النشاط التجارى داخلياً وخارجياً، والدور

---

(١) بارتولد: المرجع السابق ص ٣٧١.

(٢) من هذه الوظائف: وظيفة الحاجب، والحاجب الأكبر (حاجب بزرك) ويطلق عليه صاحب الحجاب، وهو يرأس جميع رجال البلاط والوظيفة الثانية: صاحب الخرس(أمير الخرس) وهو المنصب الثانى فى الأهمية بالبلاط،ومن الوظائف المهمة الوزير (خواجة بزرك) ويرأس جميع دواوين الدولة، ثم تأتى بعد وظائف:صاحب الخزينة (المستوفى)،والشرطة، وابريد، والقضاة والحسبة؛ انظر بارتولد: تركستان ص ٣٥٥-٣٦١.

(٣) بارتولد: المرجع السابق ص ٣٦٩-٣٧٠.

الفعال الذى شاركت به خوارزم فى عهد المأمونيين فى العلاقات التجارية الدولية. حتى أصبحت أسواقها ملتقى التجار المسلمين. والتجار القادمين من بلاد الهند والصين وبلاد الترك.

الفصل الخامس
الحياة الثقافية فى خوارزم خلال عصر المأمونيين

ساهم الخوارزميون بدور كبير فى مناحى الحضارة الإسلامية، خاصة المجال الثقافى حيث عاصرت دولة المأمونيين الفترة التى تقع بين منتصف القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجريين (٩ -١٠) تلك الفترة التى أطلق عليها مؤرخ العلم فى العصر الحديث "جورج سارتون" عصر البيرونى،وشهد هذا العصر أعظم العلماء والأدباء والفلاسفة كالبيرونى، والخوارزمى، وابن سينا،والثعالبى وغيرهم، وقد كان لخوارزم زمرة كبيرة من هؤلاء العلماء والجهابذة شاركوا بجهد وفكر عظيمين فى إثراء الجوانب المختلفة من الحضارة الإسلامية(١).

وقد وضع عدد كبير من علماء تلك الفترة- بجانب مؤلفاتهم الخاصة- الشروح والتفسيرات للمؤلفات المختلفة لمن سبقوهم،ووضحوا فيها ما أشكل من نظريات أو مسائل، وإضافة ما يلزم إليها،وظهر لذلك ما عرف "بالموسوعات العلمية"، التى حوت بين دفتيها العلوم المختلفة والآداب(٢).

---

(١) د. على أحمد الشحات: أبو الريحان البيرونى ص٤٥-٤٦ (ط دار المعارف ١٩٦٨).

(٢) من هذه الموسوعات ، كتاب "مفاتيح العلوم" للخوارزمى أبى عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف، وقد أهداه إلى أبى الحسن العتبى وزير الأمير السامانى نوح الثانى (٣٦٦-٣٨٧هـ)، وكان يعيش فى رعايته بنيسابور. وتشتمل موسوعة الخوارزمى على المصطلحات الفنية للعلوم النقلية والعقلية وتفسيرها وتوضيح دلالاتها؛ عبد الحليم منتصر: تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه، ص٢٣٥ (ط خامسة، دار المعارف القاهرة، ١٩٧٣)؛ شوقى ضيف: تاريخ الأدب

وقد توفر المناخ المناسب للازدهار الثقافى فى خوارزم،وهذا الإقليم- كما سبق- إقليم خصيب كثير المزارع والفواكه، والمعاصر، والحرف والصناعات المتنوعة، كثير المدن الفسيحة المزدانة بالأسواق والعمارة من مساجد ومدارس ومكتبات وخانقاوات،ويتركز فيه عدد كبير من السكان،وهو كذلك ثغر من ثغور الإسلام ومركز لانطلاق الغزو المتصل لمن حوله من غير المسلمين، هذه البيئة المتنوعة أثرت على أذهان العلماء والمفكرين والفلاسفة الخوارزميين فأضحوا من صفوة النابغين على امتداد فترات التاريخ الإسلامى.

وبالإضافة إلى ما ذكر فإن خوارزم- منذ القديم- اشتهرت بثقافتها المتقدمة زمناً طويلاً حيث كانت ملتقى حضارات متعاقبة، من يونانية، وفارسية، وعربية،وبصمات من الحضارتين الهندية والصينية، كما لم يؤثر تعاقب الأسرات الحاكمة فى خوارزم، وما صاحب ذلك من حروب وصراعات سواء كانت داخلية أم خارجية على استمرار العطاء الخوارزمى والإسهام الفعال فى تراث الإسلام[١].

العوامل التى ساعدت على ازدهار الحياة الثقافية فى عهد المأمونيين:

العربى جـ٥ ص٤٥٢٦ (ط دار المعارف، القاهرة سنة ١٩٨٠)،وقد نشرت كتاب مفاتيح العلوم مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(١) انظر: دائرة المعارف الإسلامية مادتى (خوارزم، خوارزمشاه)، د/ أحمد سعيد الدمرداش: البيرونى ص١٧ (ط دار المعارف، سلسلة أعلام الإسلام، ٢، القاهرة ١٩٨٠.

١- تشجيع حكام خوارزم للعلماء والمفكرين والأدباء:

لقد شهدت خوارزم على عهد دولة المأمونيين نشاطاً ثقافياً منقطع النظير، فقد كانت محطاً لنزول ولقاء العلماء والمفكرين والأدباء، وكانت قصور الأمراء المأمونيين مجمعاً لعلماء العصر وأدبائه، ومثال ذلك قصر أبى العبا مأمون بن مأمون خوارزمشاه، حيث اجتمعت فيه نخبة ممتازة من هؤلاء ومنهم أبو على بن سينا، وأبو سهل المسيحى، وكانا على حد قول صاحب كتاب "جهار مقالة" خلفين لأرسطاطاليس، وأبى نصر العراق وهو ابن أخى خوارزمشاه،وكان يلى بطليموس فى علم الرياضة، وأبى الخير الخمار ويعتبر ثالث بقراط وجالينوس فى علم الطب،وأبى الريحان البيرونى،وكان فى مكانة أبى معشر فى علم النجوم[١].

ويعتبر أبو العباس مأمون خوارزمشاه السالف الذكر من أعظم الملوك المأمونيين الذين صادقوا أهل العلم والحكمة، وأنفقوا الكثير من المال والوقت فى تشجيع العلماء والأدباء ومجالسهم والحوار معهم، فكان بلاطه مجمعاً لهم،وألفوا كتباً كثيرة باسمه، كما كان أخوه على بن مأمون بن محمد خوارزمشاه هو الآخر من أكبر مشجعى أهل العلم،وكان له وزير يدعى بأبى الحسين أحمد بن محمد السهيلى من أعظم وزراء دولة المأمونيين،وقد وزر بعد وفاة على بن مأمون لأخيه أبى العباس، وكان هذا الوزير محبا للعلم والعلماء،وقد قال عنه ابن سينا "دعتنى الضرورة إلى

---

(١) جهار مقالة، ص ٨١، ص ١٧٠-١٧٢.

الارتحال عن بخارى والانتقال إلى كركانج،وكان أبو الحسين السهيلى المحب لهذه العلوم بها وزيرا، وقدمت إلى الأمير بها وهو على بن مأمون،وأثبتوا لى مشاهرة دارة بكفاية مثلى.. [١]".

وقد أولى أمراء وحكام دولة المأمونيين اهتمامهم ببناء المدارس وإنشاء دور الكتب (المكتبات)، وشهدت الجرجانية (كركانج) فى حياتهم أعظم حركة علمية بعد مدينتى بخارى وسمرقند العاصمتين الساماتيتين[٢].

ومما سبق يتبين لنا أن حكام خوارزم المأمونيين ووزراءهم،وكبار رجال دولتهم اهتموا جميعاً بتشجيع الحركة العلمية فى البلاد، ورعاية العلماء، والمفكرين والأدباء على مختلف طبقاتهم رعاية كاملة، كما أسست الكثير من المدارس والمكتبات، إلى جانب المساجد الجامعة فى جميع مدن الدولة ونواحيها، وكان من آثار ذلك ظهور نخبة ممتازة من العلماء والمحدثين والفقهاء، وتلامذتهم، وقام عدد من هؤلاء برحلات علمية إلى بلدان العالم الإسلامى، وكانوا بذلك مشاركين لاستمرار وازدهار العلاقات الثقافية لدولة خوارزم خلال ذلك العهد.

٢- المراكز الثقافية وأثرها فى ازدهار الحركة العلمية بخوارزم:

تمتعت دولة خوارزم على عهد المأمونيين بعدة مدن ونواحى ازدهرت فيها الحياة الثقافية والحركة العلمية فى جميع ميادين

---

(١) جيهار مقالة، ص ١٧٠.

(٢) إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام ص١٧٦.

العلوم النقلية والعقلية، وأصبحت تضارع المدن الكبرى فى العالم الإسلامى كبغداد ودمشق وغيرها، ومن ثم جذبت إليها أنظار العلماء والمفكرين والأدباء من أنحاء العالم الإسلامى، وصارت أهم المراكز الثقافية فى الجناح الشرقى للخلافة العباسية مما كان له عظيم الثر على استمرار وازدهار العلاقات الثقافية بين دولة خوارزم وبلدان العالم الإسلامى.

وتعتبر جرجانية عاصمة دولة خوارزم أهم المراكز الثقافية والعمرانية لهذه الدولة، فقد كانت قبلة أنظار العلماء والزهاد والمفكرين والأدباء،وكانت على عهد أسرة المأمونيين أهم مركز ثقافى وعلمى فى آسيا الوسطى كالعاصمتين السامانيتين بخارى وسمرقند كما أشرنا[١].

على أية حال فقد ازدهرت جرجانية بحركة ثقافية منقطعة النظير، وكانت قبلة العلماء والمفكرين، حتى غلب على أهلها فهم العلوم والتفقه فى الدين، والسمو فى الأدب ويعطينا المقدسى[٢]- الجغرافى والرحالة- وصفاً مهماً لأهل خوارزم، فهم "ذو علماء وأدباء.. وقراء، ليس مثلهم بالعراق، وحسن نغم وجودة

---

(١) جهار مقالة ص٨١، ذكر صاحب جهار مقالة (النظامى العروضى السمرقندى) عدداً من الحكماء والعلماء كانوا دائماً يجتمعون فى بلاد خوارزمشاه منهم على ابن سينا والبيرونى والجسن بن سوار المعروف بابن الخمار وغيرهم (انظر: أيضاً ص ١٧٩-١٧١ نفس المصدر). كما ذكر الثعالبى نخبة من أدباء خوارزم وأفرد لهم باباً فى كتابه تحت اسم "غرر فضلاء خوارزم"، انظر يتيمة الدهر جـ٤ ص٢٣٤ وما بعدها.

(٢) أحسن التقاسيم: ص٢٢٧، ٢٢٩، وعن أفاضل خوارزم وعلمائها؛ انظر أيضاً السبكى طبقات الشافعية الكبرى جـ٤ ص٤٧، ص١٧٥-١٧٦، جـ٧ ص٢٨٩ (ط أولى، القاهرة ١٣٨٣ هـ/١٩٦٤م).

قراءة،ومـــنظر وخبر "وذكر فى موضع آخر أن".. أقل إمام فى الفقه والأدب والقرآن لقيته، إلا وله تلميذ خوارزمى".

وبجانب العاصمة الجرجانية، ومساهمتها فى النشاط الثقافى والعلمى، كانت هناك عدة مدن وقرى بخوارزم لا تقل شأن عنها، فلم تخل مدينة من مدن الإقليم أو قرية من قراه من مسجد جامع يعتـــبر مـــنارة ومركـــزاً يشع لمن حوله من السكان أنوار العلم والثقافة الإسلامية وتعاليم الشريعة السمحاء، فكان المسجد مجمع لقـــاءات العلمـــاء والفقهاء وطلاب العلم وعامة الناس يتدارسون ويتعلمون جميع فروع العلم والمعرفة.

ولســـنا بصدد سرد جميع مدن الإقليم وقراه وذكر مساجدها العظيمة ولكن نكتفى بذكر أمثلة للمساجد الجامعة بخوارزم، فمدينة كـــاث وهى العاصمة الأولى للخوارزمشاهيين، كان فيها المساجد والـــزوايا ودور العلـــم مـــن مـــدارس وكتاتيـــب كنظـــيرتها الجرجانية،واستمرت قبلة يأمها العلماء والفقهاء حتى بعد أن حلت محلها جرجانية عاصمة لدولة خوارزم(١).

ومن قرى كاث نذكر قرية "برقان" وهى قرية كبيرة تقع على شاطئ نهر جيحون الشرقى بينها وبين العاصمة جرجانية مسيرة يومين، كان بها مسجد جامع، وخرجت علماء وفقها، من أشهرهم الحـــافظ الإمـــام أبـــو بكـــر أحمـــد بن محمد بن أحمد بن غالب

---

(١) ابن حوقل: صورة الأرض ص٤٧٨؛ ياقوت: معجم البلدان جـ٧ ص١١٢.

الخوارزمي البرقاني[١] (٣٣٦هـ/٤٢٥م) سنتحدث عنه بالتفصيل خلال تناولنا علماء وفقهاء دولة المأمونيين بخوارزم.

ومن مدن إقليم خوارزم الكبرى،نذكر مدينة"درغان" فقد ذكر المقدسي[٢]: أنها تقارب الجرجانية كبراً، لهاجامع حسن ليس بالناحية مثل، فيه جواهر رفيعة، وتزاويق حسنة"، وذكر ياقوت[٣]، أن هذه المدينة خرج منها علماء ومحدثون.

واشتهرت مدينة خيوق أو "خيوة" كما يسميها الخوارزميون بفقهائها الشافعية دون البلدان الخوارزمية الأخرى فإنهم كانوا على مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان[٤]، وأشار المقدسي[٥] إلى مسجدها الجامع العامر بروادة، وأسواقها المزدهرة وسورها الحصين.

٣- دور التجار والعلماء فى توثيق الروابط الثقافية مع الترك:

تعرضنا فيما سبق إلى ذكر الموقع الجغرافى المميز لدولة خوارزم، وكثرة الطرق والمنافذ التجارية التى ربطت بينها وبين العالم الخارجى[٦]، مما ساعد على مزاولة التجار الخوارزميين

---

(١) ياقوت: المصدر السابق جـ٢ ص٣٠٦.

(٢) أحسن التقاسيم ص٢٣٠

(٣) معجم البلدان جـ٤ ص٢٩٧.

(٤) الإدريسي: نزهة المشتاق جـ٢ ص٦٩٦.؟

(٥) المصدر السابق: ص

(٦) انظر المقدمة الجغرافية للبحث؛ وانظر أيضاً: أمجد بوهميل: خوارزم الحضارة المنسية ما بين بحرى قزوين وآرال، ص٢٠.

نشـــاطهم الـــتجارى المكـــثف فى منطقة آسيا الوسطى، فكانت القوافـــل التجارية بعد أن تعبر الحدود الخوارزمية تتجه إلى بلاد الغز القاطنة من بحر الخزر غرباً حتى أواسط مبترى نهر سيحون (سيرداريا) شرقاً، كما اتجهت أيضاً ناحية الشمال والشمال الغربى إلى مواطن الترك الخزر والبجناق (البشناق) والقبجاق (القبشاق)، والبلغار، ومن ناحية الشرق إلى مواطن القارلوق حتى وصلت إلى حدود بلاد الصين عبر القبائل التركية المختلفة[١].

ومزاولة مهنة التجارة خلال القرون الأولى من تاريخ الإسلام كان يتطلب من القائمين بها، الإلمام بعدة أمور مهمة، منها معرفة لغـــات الأقوام والشعوب التى يتم التعامل التجارى معها، فلا يكن هـــناك اتصـــال أو تفاهم بين الطرفين إلا إذا أتقن كل منهما لغة الآخـــر، وعلـــى القـــائم بمهنة التجارة أن يكون مؤهلاً – أيضاً– بثقافة دينية تعينه على كيفية التعامل التجارى والمالى فى الأسواق التى يعرج إليها والى جانب ذلك يكون على قدر من معرفة أحوال وعادات تلك العناصر والشعوب التى يرحل إليها بتجارته[٢].

وقد أشارت كتب الجغرافيين والرحالة المسلمين التى تناولت وصـــف بلاد آسيا إلى ما كان يتحلى به تجار خوارزم من صفات أهلتهم إلى مزاولة نشاطهم التجارى والثقافى مع العناصر التركية خـــارج حـــدود بلادهـــم، فكانت لهم دراية تامة بالطرق التجارية

---

(١) بارتولد: تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ص٦٥-٦٦.

(٢) أحمد أمين، ظهر الإسلام، جـــ٢ ص٢١٢.

ودروبها ومسالكها بجانب إلمامهم بلغات الترك، وما تحلو به من معـرفة أذواق الترك فى الملبس والمأكل واحتياجاتهم من السلع المخـتلفة الـتى تحمـل إليهم[١]، كما كان لتجار خوارزم معرفة بالأمور الدينية وعلى ثقافة ومدنية أهليتهم إلى القيام بدورهم فى نقل معالم الحضارة الإسلامية إلى تلك العناصر، ويمكن القول بأن الـتاجر الخوارزمى كان فاتحاً وسفيراً لنشر الثقافة الإسلامية بين الجماعات التركية والمتتركة بوسط آسيا وشرق أوربا[٢].

وخلاصة القول، أن تجار دولة خوارزم كان لهم دور مهم فى مجـال العلاقات الثقافية مع العناصر التركية، ولن يقل هذا الدور أهمية عن قيامهم بالتجارة، فى منطقة آسيا الوسطى التى خرجوا من أجلها وقد ساعدهم على أداء دورهم الثقافى ما تمتعوا به من نفـوذ وصلات وثيقة ووشائج طيبة مع هؤلاء البدو، أما النتيجة المتمخضـة عـن ذلـك حـدوث نقلة سريعة غيرت حالة البداوة والخشـونة مـن داخـل المجتمع التركى، إلى حالة من التحضر والمدنـية، استمدت جذورها من روح الإسلام وتسامحه ومبادئه الرفيعة وأفكاره المستنيرة.

---

(١) تأثـرت بعض العناصر التركية بالنهجة الخوارزمية، وهى من آثار العلاقات الاقتصادية والثقافية الـتى ربطت بين خوارزم وهؤلاء منذ فترات بعيدة، كما كانت الأثواب والملبوسات التى ترد إليهم من خوارزم ذات تقدير عظيم لديهم، وكانت هذه الثياب تجهز بها العروض لزفافها، كما أن هـناك كـلمات خوارزمـية اسـتخدمها الـترك فى أطعمتهم، فكلمة "بكند" تعنى الخبز بالخوارزمـية، وكانت العملة السائدة فى أسواقهم الدراهم الخوارزمية؛ انظر: ابن فضلان، ص ٨٤.

(٢) رحلة ابن فضلان، ص ٨٠-٨١، ٨٨؛ المقدسى: أحسن التقاسيم ص٢٢٧.

أمـــا عـــن دور العلماء فى انتقال المؤثرات الثقافية وفروع العلوم المختلفة إلى العناصر التركية فنوضحه فيما يلى:

لمـــا تـــم الفـــتح الإســـلامى لـــبلاد مـــا وراء النهر وإقليم خوارزم،ازداد نشاط الحركة العلمية فى هذه الأقاليم عن ذى قبل، ومن المعروف أن حكام وأمراء الدول المستقلة حاولوا أن يجعلوا عواصـــمهم كعبة للعلماء وقبلة لأهل الفكر والأدب والفن كما هو الحال فى بغداد عاصمة الخلافة العباسية، وفى خوارزم اقتفى حكام أول دولة مستقلة وهى دولة المأمونيين أثر الخلفاء العباسيين فى تزيـــن قصورهم بمجالس العلماء والأدباء وأهل الفكر، ولقد لقى هـــؤلاء الحظوة والتشجيع لدى أصحاب النفوذ والقصور، فازداد تســـابقهم فى التطلع إلى المراكز المرموقة،وأدى ذلك بالتالى إلى النـــبوغ العلمـــى والفكرى بين طائفة العلماء، وأصبحت جرجانية بفضـــل ذلـــك مركـــزاً إشعاعياً كبيراً للحضارة الإسلامية بجميع جوانبها فى آسيا الوسطى[١].

بـــدأ الاتصال الثقافى والفكرى بين خوارزم والعناصر التركية والمتـــتركة، بعد أن مهد التجار المسلمين لهذه النقلة حيث أخذت وفود العلماء والمفكرين والأدباء تسير جنباً الىجنب مع الرحلات الـــتجارية عبر الصحارى والغابات لا يعبأون بقسوة البرد ونزول الـــثلج حامليـــن مشاعل الثقافة الإسلامية إلى تجمعات الترك فى

---

(١) جيهار مقالة: ص٨١، ص١٦٩-١٧٠؛ أمجد بوهميل: المرجع السابق ص١٨، ٢٠.

مواطـــنهم[١]. واستطاعوا جذب أبناء الترك إليهم وأفسحوا لهم المجـــال لتلقى العلوم النقلية كعلوم القرآن والحديث والفقه واللغة العربـــية وآدابهـــا، إلـــى جانـــب العلـــوم العقلية التى برع فيها الخوارزميون كالطب والصيدلة والفلك والرياضيات،وأصبح تلاميذ الخوارزميـــين مـــن الترك نواة للطبقة المثقفة التى ازدهرت بها المدن التركية فيما بعد.

وقـــد نســـب عـــدد جـــم أشارت إليه كتب الطبقات والرحالة والجغرافيـــين مـــن العلمـــاء والفقهاء والأدباء والمفكرين الذين ينتســـبون إلى المدن التركية الكبرى كمدينة طراز ومدينة كاشغر، ومدينة جندوختن وبلاساغون وغيرها.

وكـــان أمـــراء دولـــة المأمونيـــين يقومون بإعداد الحملات المتتالـــية إلـــى بلاد الترك على الحدود الشمالية الغربية لخوارزم بغـــية نشـــر الإســـلام وحضـــارته ولحرصهم على أن تؤتى هذه الحمـــلات أهدافهـــا كـــانوا يقومون بأنفسهم بقيادتها، ومن هذه الحملات ما توجه إلى بلاد الخزر ومواطن القبجاق،وقد ساعد ذلك علـــى الاتصال الثقافى بينهم وبين الخوارزميين بعد تعرفهم على

---

(١) يحكـــى أن الإمـــام الزمخشرى قد أصيب ببيس فى إحدى قدميه خلال جولاته العلمية فى آسيا الوســـطى نتيجة لإصابتها ببرد شديد وثلج فقطعت. ورغم ذلك لم يتوقف عن رحلاته فى سبيل نشر العلم والثقافة فى كل مكان (ياقوت: معجم الأدباء جـــ٥ ص٤٨٩، وفيات الأعيان. جـــ ٢ ص٢٥٥).

معالم الحضارة الإسلامية التى لمسوها فى القوات المسلمة وعن طريق العلماء والفقهاء الذين رافقوا تلك الحملات[١].

ومن الآثار المترتبة على تأثر الترك بالتيارات الفكرية والثقافية ومعالم الحضارة الأخرى الوافدة إليهم عن طريق التجار والعلماء والأدباء والمفكرين والخوارزميين، تطلع أعداد غفيرة منهم إلى الهجرة إلى البلدان الخوارزمية، واستطاع القبجاق[٢]، وهم أكبر العناصر نزوحاً إلى خوارزم التقرب من الحكام والسلاطين، فاستخدمهم هؤلاء فى شغل الوظائف الكبرى بالدولة، كما اشتركوا فى تكوين فرق الجيش الخوارزمى واصبح منهم القادة الذين خاضوا غمار الحروب على عهد أمراء الدولة الثانية بخوارزم (أسرة آلتونتاش)، وسلاطين الدولة الثالثة (آل نوشتكين)[٣].

٤- الرحلات العلمية وأثرها على التبادل الثقافى بين دولة المأمونيين والأقاليم الإسلامية الأخرى:

---

(١) مسكويه: تجارب الأمم جـ٢ ص٢٠٩، (نشر دار الكتب الإسلامى، القاهرة، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ٧ ص١٥؛ ابن كثير : البداية والنهاية، جـ٧ ص٣٢٧.

(٢) بدأت التيارات الفكرية والثقافية الوافدة من خوارزم تغزو قبائل القبجاق منذ عهد دولة المأمونيين،وفى عهد الدولة الثانية (آلتونتاش) قام التونتاش رأس الأسرة الحاكمة بجذب جماعات منهم للخدمة فى الجيش الذى أعده لحماية دولته الناشئة من الخطر الخارجى، وعلى إثر ذلك ازداد نزوح القبجاق إلى البلدان الخوارزمية (بارتولد: تركستان ص٤٤٠؛ السادات: محاضرات فى تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها ص٦٥).

(٣) النسوى: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى، ص٦٢ (ح٣، ص٩٩، ص٢٨٤ تحقيق حافظ أحمد حمدى، القاهرة، ١٩٥٣).

اهـــتم العلمـــاء وطلـــبة العلم خلال القرنين الثالث والرابع الهجريـــن بالرحيل إلى المدن الكبرى فى أنحاء الدولة الإسلامية لتلقى العلم من أفواه المتخصصين، واللقاء بالعلماء المشهورين. وازدهرت مدن إلى وهمذان ونيسابور وبخارى وسمرقند وخوارزم بالعلماء فى كل علم والأدباء فى كل فن،ونشطت بها حركة التعليم وازدادت أعداد الطلاب الوافدين إلى مدارسها ومساجدها، وقد ذكر ابـــن خلـــدون أن "المشرق لم ينقطع سند التعليم فيه بل أسواقه نافعـــة،وبجورد زاخـــرة لاتصال العمران الموفور واتصال السند فيه"(١).

ثـــم اســـتمر نشـــاط العلماء والأدباء خلال الفترة التالية فى القرنين الخامس والسادس الهجريين، وازداد إقبالهم على الرحيل والانـــتقال بين بلدان العالم الإسلامى، ولقوا العون والتشجيع من ولاة الأمور مما حفزهم علىٰ مواصلة السفر مهما كلفهم من جهد، كمـــا اهـــتموا بوضع المؤلفات القيمة بأسماء السلاطين والأمراء والـــوزراء للـــتقرب مـــنهم ولنيل هباتهم وعطاياهم، فقد لا نكون مبالغين إذا قلنا أن الغالبية العظمى خلال هذين القرنين (٥-٦هـــ) اتجهـــت هـــذا الاتجـــاه وكثر بذلك التردد والترحال إلى العواصم الكـــبرى وأن الـــتردد والتقرب من أصحاب النفوذ والبلاط، تعتبر

(١) المقدمة ص٤٣٢.

ظاهـــرة إيجابية فى حد ذاتها حيث ساعدت على توطيد الوشائج والعلاقات الثقافية بين البلدان الإسلامية[١].

٥- أثر عامل اللغة فى انتقال المؤثرات الثقافية بين دولة خوارزم وبلدان العالم الإسلامى والقبائل التركية:

دراســـة اللغة- وهى أداة التخاطب والتفاهم - تفيد فى تفهم الشـــعوب والأجـــناس بعضـــها الـــبعض، وكلما زاد عدد اللغات واللهجـــات الـــتى يجيدها سكان منطقة ما ودولة زاد على إثرها انتقال المؤثرات الثقافية بصورة واحة بين الأمم والشعوب.

وســـكان خـــوارزم بعـــد الفتح الإسلامى كانوا يجيدون اللغة العربية، بجانب اللغتين الفارسية والتركية بلهجاتها المتعددة، ولما اتسع مجال العلاقات السياسية والاقتصادية بين دولة خوارزم على عهـــد المأمونيـــين تطلب ذلك إتقان العلماء والتجار الخوارزميين لغـــات ولهجات الشعوب والأجناس المختلفة سواء فى وسط آسيا أو شـــرق أوربـــا، لـــيس ذلك فقط، بل إن تعدد اللغات لدى العب الخوارزمـــى ســـاعد علـــى كـــثرة ارتحـــال العلمـــاء والمفكرين الخوارزميين إلى الأقاليم الإسلامية المختلفة، وعلى الجانب الآخر

---

(١) لم تـــتأثر العلاقـــات الثقافية بين بلدان العالم الإسلامى بقيام دولة أو نهاية أخرى فلم تكن هناك حواجـــز تمنع أو تقيد حركة العلماء ومواصلة رحلاتهم العلمية والفكرية من الشرق إلى الغرب أو العكـــس. كما أولت الحكومات المتعاقبة فى المشرق الإسلامى اهتماماً بالعلاقات الثقافية منذ القـــرن الثالـــث حتى بداية القرن السابع الهجريين (ـ٣-٩م)، وقد أشرنا إلى الاهتمام الكبير بـــتلك العلاقـــات عـــلى عهد دول خوارزم الثلاث والتشجيع الذى لاقته على يد سلاطينها وأمرائها، انظر أيضاً ما أشار إليه الأستاذ أحمد أمين فى كتابه: ظهر الإسلام جـــ٢ ص٢.

ســـاعد عامل اللغة على جذب علماء وطلاب العلم من الأمصار النائية إلى الوفود إلى المدن الخوارزمية للتزود بالمعارف والعلوم علـــى أيـــدى أعظم قادة الفكر الخوارزميين أو الوافدين إلى دولة خـــوارزم فـــى اللقاءات العلمية والمجالس الأدبية التى كانت بين الطرفين،وقد استمر الحال على ذلك على مدى تاريخ دولة خوارزم حتى نهايتها[١].

وفـــيما يلـــى نعطـــى نبذة سريعة عن اللغات السريعة بدولة خوارزم والتى استعملها الشعب الخوارزمى أداة للتخاطب وساعدت على انتقال المؤثرات الثقافية بين هذه الدولة والعالم الإسلامى.

استخدمت الدرية (الفارسية الحديثة) كلغة أدبية لأول مرة فى الإســـلام فى بلاد الطاهريين والصفاريين والسامانيين، ثم تبعتهم الدول المستقلة الأخرى فيما بعد، وبدأت الآثار الأدبية المكتوبة بها تظهـــر مدونـــة فـــى القـــرن الثالث الهجرى، ولا تزال هذه اللغة مستعملة منذ ذلك الوقت حتى أيامنا هذه[٢].

---

(١) تقـــع أراضى إقليم خوارزم على عهد المأمونيين- على جانبى نهر جيحون، وكان جيحون يمثل الحـــد الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية والتركية أى الإيرانيين والتورانيين (الترك الهياطلة)، ولمـــا اتســـعت دولة خوارزم على عهد الأسرتين (آلتونتاش ونوشتكين) شملت أراضيها معظم أقالـــيم ما وراء النهر وغيران والعراق العجمى، وأفغانستان وبعض بلاد الهند، غدت تجمع بين دفتيها لغات ولهجات تلك الأقاليم والشعوب المتعددة والمتباينة؛ البلاذرى: فتوح البلدان ق ٣ ص٥١٥؛ المقدســـى: أحســـن التقاسيم ص٢١٢-٢١٣. ياقوت جـــ٢ ص٥٧؛ الخوارزمى: مفاتيح العلوم ص٧٠؛ كريستنسن: إيران فى عهد الساسانيين ص٧٧؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص٤٧٦).

(٢) الخوارزمـــى: المصدر السابق ص٧١-٧٢. تأثرت الفارسية الدرية (الحديثة) باللغة العربية تأثرا كـــبيرا سواء فى الكتابة بالحروف العربية، أو كثرة المصطلحات العربية العلمية والأدبية والدينية

على أية حال فعندما بسطت الدولة السامانية سيطرتها على بلاد ما وراء النهر أخذ أمراؤها يشجعون الأدباء والشعراء على الكتابة والنظم بالفارسية رغبة منهم فى إحياء لغتهم القومية والنهوض بآدابها، بل سعوا لإحلال الفارسية الدرية محل البهلوية من جهة، ومحل العربية من جهة أخرى[١].

وكانت خوارزم من الأقاليم المهمة فى دولة السامانيين، واستمرت تبعيتها لهم حتى بدأ الضعف يتطرق إلى دولتهم،وظهرت بوادر انهيارها، وفى هذه الأثناء، حاول أمراء خوارزم التحلل من تبعيتهم للسامانيين وتكوين دولة شبه مستقلة،وقد نجحت محاولتهم على يد المأمونيين الذين أسسوا الدولة الأولى فى خوارزم[٢].

وقد شجع أمراء خوارزم الشعراء والأدباء- فى دولتهم- على الاهتمام باللغة الفارسية، فنجد هؤلاء إلى جانب كتاباتهم باللغة العربية، يكتبون أيضاً باللغة الفارسية، وبرع عدد كبير منهم فى فنون الشعر الفارسى المختلفة كشعر القصور وشعر الملاحم، وشعر الغزل[٣].

والسياسية التى دخلت بالفارسية، بل ازداد الاختلاط والامتزاج بين اللغتين منذ منتصف القرن الخامس حتى النصف الأول من القرن السابع الهجرى حتى اصبح القاموس العربى داخل الثروة اللغوية الفارسية (عبد السلام عبد العزيز فهمى: تاريخ اللغات الإيرانية ص١٠٠-١٠١، ط- القاهرة ١٩٧٢).

(١) عباس إقبال اشتيانى: تاريخ إيران بعد الإسلام ص٩: ١١.

(٢) المنيني: الفتح الوهبى على تاريخ أبى نصر العتبى، جـ١ ق ١، ص٢٢٨.

(٣) انظر: إسعاد عبد الهادى: فنون الشعر الفارسى ص٣٦-٤٠.

أمـــا عـــن بقايـــا اللغة الخوارزمية القديمة- التى سبق أن أشـــرنا إليها- فتدل إشارات البيرونى إلى أنه بقيت فى خوارزم ثقافـــة إيرانـــية قديمـــة جـــداً وأن هـــذه الثقافة ظلت قائمة بين الزرادشتيين إلى القرن الحادى عشر الميلادى تقريباً[١].

وتـــبدو بقايـــا تلـــك اللغة فى تأريخ الخوارزميين وأعيادهم، وبعض كلمات ذكرت فى مصادر أخرى مثل (غاوخوارى) أى طعام الماشية، يكند أى الخبز[٢].

ويـــبدو أن اللهجـــة الخوارزمـــية، كانت غريبة بعض الشئ للمتحدثيـــن باللغـــة الفارســـية، لأنها كما سبق تعتبر امتداداً للغة الفارســـية فـــى صـــورتها الوســـطى،وهذا ممـــا حـــدا بالرحالة والجغرافييـــن المســـلمين آنذاك، بوصفها مرة بصياح الزرازير. ومرة أخرى بنقيق الضفادع، فلسان الخوارزميين على حد قولهم (لســـان مفرد لا يفهم) [٣]، وذكر ريتشارد ن.فرج Richard N. Frge أن تولستوف اكتشف ١٤٠ قطعة من الجلد والخشب عليها كتابات باللغة الخوارزمية[٤].

وحظيت خوارزم منذ الفتح الإسلامى بما حظيت به غيرها من بلـــدان الخلافـــة الإسلامية بالدين الإسلامى واللغة العربية،واقبل

---

(١) الآثار الباقية عن القرون الخالية ص٤٥-٤٦، دائرة المعارف (مادة خوارزم).

(٢) البيرونى: المصدر السابق ص٤٧-٤٨، ٧٠، دائرة المعارف (مادة خوارزم) ص٤-٥؛ رحلة ابن فضلان، ص٨٤.

(٣) الاصطخرى: المسالك والممالك ص٣٠٤؛ المقدسى: المصدر السابق ص٢٦٢؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان جـ٢ ص٣٩٧؛ وأيضاً رحلة ابن فضلان ص٨٢.

(٤) Frge (R.N.):The Heritage of Persia, p. 264, (London, 1962).

السكان إقبالا شديدا على تعلم اللغة العربية لغة الدين والحكام. وصارت بعد ذلك لغة العلم التى يكتب بها العلماء المسلمون مما كان له عظيم الأثر فى حركة التبادل الثقافى بين دولة خوارزم- بعد توسعها- والعالم الإسلامى.

وإلى جانب انتشار اللغتين الفارسية والعربية والتحدث بهما- على نطاق واسع- فى دولة خوارزم، نجد مجموعة كبيرة من السكان الخوارزميين خاصة فى منطقة ما وراء النهر، بحكم كونهم أتراكاً، ومن القبائل التركية التى نزحت إلى خوارزم يتحدثون بلغة الترك ولهجات[١].

وكانت دولة خوارزم محاطة بمجموعة كبيرة من قبائل الترك الغربيين أهمها: الأوغوز والقرلق، وقد أطلق الأوغوز على جميع الترك من نهر سيحون إلى بلاد الصين[٢].

وتعتبر الأبجدية الأيغورية أوسع اللهجات التركية انتشاراً بين العناصر التركية فى منطقة التركستان الصينية وآسيا الوسطى،

---

(١) المعروف أن ابن فضلان والوفد المرافق له اجتازوا- بعد أن عبروا جيحون- شمالاً البراري التى تقطنها عناصر تركية مختلفة كالغزية والبجناك والباشغرد (البجغرد) والبلغار والخزر، حتى وصلوا إلى بلاد الصقالبة سكان الشمال فى أوربا على أطراف نهر الفولجا. وقد استعان ابن فضلان فى تحدثه مع تلك القبائل بمواطن خوارزمى يجيد عدة لهجات تركية، يدعى تكين التركى، وكان حداداً بخوارزم (رحلة ابن فضلان ص٦٩-٨٩)؛ انظر المسعودى: التنبيه والإشراف ص٧٢، ١٥٣.

(٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان جـ٢ ص٢٣.

وقد أخذت هذه اللغة عن إحدى الأبجديات السامية الشمالية عن طريق السغد[١].

ولما دخل ترك أواسط آسيا فى الإسلام استتبع هذا أنهم أخذوا بالأبجدية العربية فيما بين القرنين العاشر والحادى عشر الميلاديين (الرابع والخامس الهجريين) ومع ذلك فقد ظلت الأبجدية الأيغورية لغة الكتابة فى بلاد أميرهم، بل واستعملت هذه الأبجدية أيضاً فيما بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين (السابع والتاسع الهجريين) بين القبيلة الذهبية وبنى تيمور[٢].

وتنتسب لغة البلغار والخزر إلى اللغة التركية القديمة،ويمكن القول بأن لهجات البلغار والسوار والبجناك كانت مندرجة فى مجموع واحد،ويشير البيرونى[٣] إلى أن "البلغار يتكلمون لغة ممتزجة من التركية والخزرية".

وكانت ثمة لهجات تركية خالصة تتحدث بها عدة قبائل تركية تقطن مناطق التركستان وآسيا الوسطى، كالقرغيز والقجاق والأغور، والتخسى واليغما والجكل والإغراق والجرق، كما كانت لهجات قبائل اليماك والباشغرد وثيقة الصلة باللغة التركية[٤].

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية،م٢ ص٨٦ (مادة الأتراك).

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، م٢ ص٨٦ (مادة الأتراك).

(٣) الآثار الباقية ص٤٣١

(٤) بارتولد: تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ص٣١؛ دائرة المعارف الإسلامية م٢ ص٧٠ (مادة الأتراك.

ورغـــم تعدد اللهجات التركية المتباينة داخل دولة خوارزم والبلدان التركية المجاورة فقد استطاع العلماء والمفكرون والأدباء الخوازمـــيون التخاطـــب والتفاهم مع الشعوب والعناصر التركية المختلفة،وأن يؤدوا دورهم الفعال فى مجال العلاقات الثقافية.

العلماء والأدباء والمفكرون بدولة خوارزم:

تعرضنا فيما سبق إلى أهم العوامل التى ساعدت على ازدهار الحـــياة الثقافية فى مدن ونواحى خوارزم خلال عهد المأمونيين، وقـــد رأينا كيف شجع الخوارزمشاهيون ووزرائهم وكبار رجال دولتهم العلماء والفقهاء المحدثين والأدباء لبذل علمهم ومعارفهم للعامة والخاصة من السكان الخوارزميين، فأجزلوا لهم الأموال فى صـــورة مرتبات، أو منح، أو هبات وجعلوا قصورهم قبلة لهؤلاء جميعاً، كما أولى حكام خوارزم اهتمامهم ببناء المدارس والكتاتيب ودور الكتب (المكتبات).

ويحق لخوارزم خلال فترة المأمونيين أن تفخر بأفذاذ رجال العلـــم والمعرفة، فى شتى العلوم والمعارف المختلفة. وفيما يلى نذكـــر بعضـــاً من العلماء والأدباء والمفكرين الخوارزميين الذين ســـاهموا إســـهاماً عظيماً فى إزدهار الحياة الثقافية فى خوارزم والأقالـــيم الإســـلامية الأخـــرى عن طريق رحلاتهم العلمية وبث علومهم ومعارفهم عن طريق الأخذ منهم والإطلاع على مؤلفاتهم.

أولاً: فى مجال العلوم النقلية:

- علوم القرآن (التفسير - علم القرآت)

فمن علماء القراءات أبو الفتح أحمد بن عبد العزيز بن موسى بن عيسى الخوارزمى (ت٣٥٩هـ/٩٦٩م) وقد رحل إلى بغداد، وقام بزيارة الديار المصرية حيث هناك بالعلماء والمتخصصين فى هذا المجال[١].

ومن أشهر علماء القراءات بخوارزم الإمام محمد بن أحمد بن على بن حامد الكركانجى، ذكر ابنه عبد الرحمن الكركانجى أن والده توفى فى ثانى عشر ذى الحجة سنة أربع وثمانين وأربعمائة، وهو ابن نيف وتسعين سنة، ومولده فى حدود سنة تسعين وثلاثمائة.

وذكر ياقوت الحموى[٢] أن محمد بن أحمد هذا كان إماماً فاضلاً فى علوم القرآن، ومن تصانيفه الحسنة "كتاب المُعوَّل"، و "كتاب التذكرة لأهل البصرة" وغير ذلك، سافر الكثير إلى العراق، والحجاز، والجزيرة، والشام فى طلب علم القرآن والقراة على المشايخ إلى أن صار أوحد عصره، وكان مع فضله زاهداً ورعاً متديناً.

---

(١) ابن الجزرى: غاية النهاية فى طبقات الفقهاء جـ١ ص ٦٨-٦٩ (نشر ج برجستر استر- ط ثالثة، بيروت، ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م).

(٢) معجم الأباء جـ٥ ص١٥٧، الكركانجى: نسبة إلى كركانج عاصمة خوارزم.

- علماء الحديث والفقه بدولة خوارزم:

ومـــن علماء الحديث الخوارزميين أبو سعيد أحمد بن عراق بـــن أحمد بن اسحق الخوارزمى، ذكر السهمى[١] أنه قدم جرجان وحـــدث بها ومات بها فى شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعمائة ودفن فى مقابر سلمانـاباد.

ومـــن الفقهاء الشافعية بدولة خوارزم على عهد المأمونيين أبـــو محمد البافى[٢] (عبدالله) الخوارزمى، صاحب الداركى، كان فقيهاً أديباً شاعراً، درس ببغداد بعد الداركى، وكان يكتب الرسائل المطولـــة من غير روية، وله شعر حسن، توفى ببغداد سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة[٣].

ومـــن علمـــاء خـــوارزم فى مجال الحديث الحافظ أبو بكر الـــبرقانى وهو الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارمى المعروف بالبرقانى[٤]، ولد سنة ٣٣٦هـــ/٩٤٧م وتوفى سنة ٤٢٥هـــ/١٠٣٤م، وسمع الحديث بخوارزم من أبى العباس بن حمدان ومحمد بن على الحسائى، وأحمد بن ابراهيم بن حباب الخوارزميـــن، ثم رحل إلى بغداد، وسمع عن محمد بن جعفر بن هيثم ، ونزل عدة مدن منها هراة، ونيسابور بإقليم خراسان، ونزل

---

(١) تاريخ جرجان ص١٠٨ (ط رابعة، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٧هـــ/١٩٨٧م).

(٢) باف: إحدى قرى خوارزم، ياقوت: معجم البلدان جـــ٢٦٠، جـــ٢).

(٣) أبو بكر بن هداية الحسينى: طبقات الشافعية ص١٠٧-١٠٨ (تحقيق عادل نوفض. دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ثالثة ١٤٠٢هـــ/١٩٨٢م).

(٤) البرقانى: نسبة إلى برقان احدى قرى "كاث" بخوارزم (ياقوت. معجم البلدان جـــ٢ ص٣٠٦).

دمشـــق ومصـــر. وسمع من شيوخ هذه البلدان، ومن مؤلفاته "مســـند" ضـــمنه ما اشتمل عليه صحيحا البخارى ومسلم، وجمع حديث سفيان الثورى، وأيوب، وشعبه، وعبد الله بن عمر، وعبد الملك بن عمير وغيرهم، ولم يقطع التصنيع إلى حين وفاته[١].

- علماء اللغة وأدباء وشعراء خوارزم:

قـــبل أن نعـــرض أشـــهر علمـــاء اللغة والأدب والشعر فى خوارزم، نشير إلى أن الثعالبى قد أورد فى كتابه "يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر" باباً جمع فيه الأدباء الخوارزميين فى عصره تحـــت عـــنوان "غرر فضلاء خوارزم"، والثعالبى النيسابورى من مواليد عام ٣٢٣هـــ/٩٣٤م، وكانت وفاته عام ٤٢٩هـــ/١٠٣٨م وكـــان معاصـــراً لدولة المأمونيين بخوارزم، وقد لمع نجمه لدى الخورازمشاهيين، ووضع مؤلفات قصد بها التقرب إليهم، كما ذكر صـــاحب كـــتاب "دمـــية القصر وعصرة أهل العصر" أبو الحسن الباخرزى (ت٤٦٧هـــ/ ١٠٧٤م) ذكر الأدباء الخوارزميين الذين عاصـــرهم، وتعرض- أيضاً- كل من ياقوت الحموى فى مؤلفاته "معجـــم الأدبـــاء" وابن خلكان فى "وفيات الأعيان" والسيوطى فى "بغـــية الوعـــاة" وغيرهم إلى ذكر علماء اللغة والشعراء والأدباء بخوارزم.

---

(١) الخطيب البغدادى (أحمد بن على): موضح أوهام الجمع والتفريق، ص٥-٦ (تحقيق عبد المعطى أمـــين قلعجى. ط أولى. بيروت ١٤٠٧هـــ/١٩٨٧م)؛ الذهبى: العبر فى تاريخ من غبر جـــ٣ ص١٥٦. أحـــداث ســـنة ٤٢٥هـــ (ط الكويت. ١٩٦٣م)؛ فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربى م١، ص٣٨٤ (ط الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٧٧).

ومن علماء اللغة والبارعين فى الشعر والنثر نذكر أبا بكر الخوارزمى وهو محمد بن العباس ابن أخت الإمام محمد بن جرير الطبرى، أصله من طبرستان، ومولده ومنشؤه بخوارزم، ولد عام ٣٢٣هـ/٩٣٤م، وتوفرى عام ٣٨٣هـ/٩٩٣م، أقبل على العلم وشغف بالقراءة والإطلاع منذ صغره، وذكر السيوطى، أنه سمع من أبى على اسماعيل بن محمد الصفار وأقرانه[١].

وقد كان أبو بكر كثير الحفظ للشعر، وإماماً فى اللغة والأنساب وهو من أئمة الكتاب، وأحد الشعراء المجيدين. وأشار صاحب يتيمة الدهر وكان معاصراً لأبى بكر والمتصلين به عن قرب بأنه أبا بكر كان "باقعة الدهر، وبحر الأدب، وعلم النثر والنظم، وعالم الفضل والظرف، وكان يجمع بين الفصاحة العجيبة والبلاغة المفيدة، ويحاضر بأخبار العرب وأيامها، ودواوينها، ويدرس كتب اللغة والنحو والشعر" [٢].

وقد طاف أبو بكر الخوارزمى العديد من البلدان الإسلامية فى المشرق والمغرب، فدخل كور العراق والشام واجتمع بالعلماء والشعراء والرؤساء والحكام وراسل الكثير منهم، كما يتضح من رسائلهم، وممن لقبه سيف الدولة بن حمدان، وقصد جستان ومدح اليها طاهر بن محمد، كما دخل بخارى والتقى بالوزير

---

(١) الثعالبى: يتيمة الدهر جـ٤ ص٢٣٣-٢٣٤ (تحقيق مفيد محمد قميحة- دار الكتب العلمية- بيروت ط أولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)؛ السيوطى: بغية الوعاة جـ١ ص ١٢٥ (ترجمة ٢١١).

(٢) يتيمة الدهر جـ٤ ص٢٣٣.

عنـــى الـــبنعمى. ونزل نيسابور واجتمع بالأمير أحمد الميكالى، وقصد أصفهان وقابل الصاحب بن عباد[١].

وظل أبو بكر الخوارزمى فى ظل الصاحب بن عباد فى عيشة رغـــدة، ثـــم لمـــا أراد ابو بكر الرحيل إلى عضد الدولة البويهى بشيراز زوده الصاحب بكتاب إلى عضد الدولة يوصى به وقد وجد أبو بكر ترحيباً عظيماً لذى السلطان البويهى، ونال عطاياد الوافرة فأحب آل بوية وتعصب لهم تعصباً شديداً ومدح عضد الدولة أكثر من غيره[٢].

ومـــن مؤلفات أبى بكر الخوارزمى تراثه الشعرى والنثرى، وهما يدلان على بلاغته وفصاحته وقد طرق أبو بكر كل أغراض الشعر وعبر عن آرائه ومشاعره، ومن أنواع الشعر التى تناولها الشـــعر السياســـى، ويبدو ذلك واضحاً فى اتصاله بمعظم الأمراء والـــزعماء فـــى تلـــك الفـــترة، فقـــد اتصل بالأمراء السامانيين والبويهيين، وخاض المعارك السياسية بشعره ونثره[٣].

ومـــن ميادـــين الشعر التى شارك فيها أبو بكر الخوارزمى الشعر الاجتماعى، فقد شارك فى أحداث مجتمعه، وعبر فيما يخلج

---

(١) يتيمة الدهر جـــ٤ ص٢٣٤؛ بغية الوعاة جـــ١ ص ١٢٥.

(٢) يتـــيمة الدهر جـــ٤ ص٢٣٨؛ السمعانى: الأنساب جـــ٢ ص٤٠٨؛ أحمد أمين مصطفى: أبو بكر الخوارزمى، حياته وأدبه ص٢٥، ٨٢-٨٣.

(٣) يتيمة الدهر جـــ٤ ص٢١٧، ص٢٢٧؛ أحمد أمين مصطفى: المرجع السابق، ص٦١.

بنفسه عن مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية، كما أكثر من شعر المديح والوصف.

وأبو بكر الخوارزمى من أبرز كتاب العرب فى القرن السابع الهجرى، وقد وصلت إلينا أكثر من مائة وخمسين رسالة تنسب إليه، وقد طبعت هذه الرسائل فى مصر والأستانة وبومباى، وهذه الرسائل تناولت عقيدته وآرائه فى الناس وتعد من الرسائل الاخوانية(١).

وتجدر الإشارة إلى أن الرسائل المتبادلة بين أبى بكر الخوارزمى وبديع الزمان الهمذانى زعيمى الكتاب فى عصرهما، كانت بداية النهاية بالنسبة لأبى بكر، فقد انتهت بالمناظرة والنزاع بينهما، فكف بال أبى بكر لتفوق بديع الزمان عليه وانحياز وجهاء نيسابور إلى صفة، ومن ثم خمدت ريح أبى بكر، ولم يحل الحول عليه حتى مرض مرضاً شديداً كان فيه حتفه(٢).

ومن الأدباء الخوارزميين أبو سعيد أحمد بن شبيب الشيبى الخوارزمى،كان معاصراً لآبى بكر الخوارزمى، قال عنه الثعالبى "فرد خوارزم ومفخرتها، كان جامعاً بين أدب القلم والسيف، صاحب كتب وكتائب وفضائل،ومناقب،ولما اختص بالدولة السامية، والدولة البويهية"، لذلك سمى الشيبى، بصاحب الجيش،وشيخ

---

(١) أحمد أمين مصطفى: نفسه ص١٧٥.

(٢) يتيمة الدهر جـ٤ ص٢٣٩؛ الأنساب جـ٤ ص٤٤؛ ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ٧ ص٢٢١. ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ٤ ص٣٤؛ السيوطى: بغية الوعاة جـ١ ص٢٥.

الدولتين، وقد تنقل بين المدن الكبرى فى آسيا الوسطى وإيران وكان له لقاءات عديدة مع شعرائها وذكر أبو بكر الخوارزمى أن الشبيبى كان "فى أيام شبابه بخوارزم يقول شعراً غليظاً جاسياً كأشعار المؤديين، فلما عاشر الناس ولقى الأفاضل لطف طبعه ورق شعره"[١].

وقد ورد أبو عبد الله بلاط شمس المعالى قابوس بن وشمكير، فأعجب به ورغب فى جذبه إلى حضرته، لكن ابا عبد الله امتنع عليه، فشرع الثعالبى بأمر من شمس المعالى أن يجاريه ويجيبه إلى مجلس شمس المعالى فلم يستجب أبو عبد الله وقال للثعالبى: "معاذ الله من لبس ثوب الغدر والانحراف عن طريق حسن العهد- يقصد شمس المعالى- وآثر مغادرة ملك الزياريين، وعلى حد قول الثعالبى "انصر راشد إلى أوطانه وحضرة سلطانه"[٢].

ومن شعراء الخوارزميين فى تلك الفترة أبو القاسم أحمد بن أبى ضرغام، كان يهجى أبا بكر الخوارزمى ويسبه، ومن محاسنه قصيدة مدح فيها الشبيبى منها:

أخوند للحفاظ خل ابن شبيب أبو حروب
بالسيف والرمح يستقل[٣] ليث قتال وأى ليث

---

(١) يتيمة الدهر جـ٤ ص٢٧٧.
(٢) يتيمة الدهر جـ٤ ص٢٨٦.
(٣) يتيمة الدهر جـ٤ ص٢٩١-٢٩٢.

ومن الوزراء المتأدبين الوزير أبو الحسين أحمد بن محمد السهيلى، وقد وزر لعلى بن مأمون خوارزمشاه، وأخيه أبى العباس مأمون بن مأمون خوارزمشاه، والسهيلى من أفاضل وزراء دولة خوارزم على عهد المأمونيين، كان محباً للعلماء والأدباء، ذواقه للأدب، يقرض الشعر، ولما ساءت العلاقة بينه وبين أبى العباس خورازمشاه وخاف بطشه، ترك خوارزم عام ٤٠٤هـ (١٠١٣م)، وهاجر إلى بغداد واتخذها موطناً حيث أكرمه فخر الملك أبو غالب محمد بن خلف والى العراق يومئذ، توفى السهيلى سنة ٤١٨هـ (١٠٢٧م) فى مدينة سر من رأى[١].

ومن أدباء وشعراء خوارزم الذين ذكرهم الباخزرى[٢] فى كتابه "دمية القصر وعصر أهل العصر"، ابا سعيد الأثيرى الخوارزمى، وكان متقناً فى نظم الشعر،متفننا فى النثر[٣]، وأبو بشر المأمون بن على بن إبراهيم الخوارزمى، اجتمع به الباخزرى ووصفه بقوله: "رأيت هذا الفاضل بوجدته سمح البديهة، ألد الحجاج، حاد المزاج أنشدنى لنفسه:

تكلفت كتمانى هواك فلم أطق
ولم يستقم للنفس ما قد تكلفت
شفانى أن افشيت سرك فى الهوى

---

(١) ياقوت: المصدر السابق جـ٢ ص١٧-١٨ جهار مقالة ص٨١،ـ ١٧٠.

(٢) دمية القصر جـ٢ (القسم الخامس) ويبدأ الجزء الخاص بأدباء خوارزم من ص ١٠٦إلى ص ٢٦٠.

(٣) دمية القصر: جـ٢ ص١٠٨ ١٠٦.

كذلك أسرار الهوى ان فشت

ومنهم أيضاً أبو النجح مقالد بن عبد الكريم الفقيهى الخوارزمى[٢]، والأديب أبو الفضل بن إبراهيم بن نصر الكاتى[٣]، وكان يحسن الشعر والنثر. نظم قصيدة رحب فيها بالخليفة العباسى الموفق لما قدم بخارى بآسيا الوسطى، ذكر البخارى منها هذين البيتين[٤]:

رأيت بخارى كالعروس جمالها

يشوق من يلقاها حسناً مونق

وقد زانها إذا حل عرصه دارها

أمام الهدى فخر الأنام الموفق

ثانياً: فى مجال العلوم العقلية

- الصيدلة والكيمياء والفيزياء (الطبيعة):

ساهم البيرونى بدور مهم فى مجال علوم الصيدلة والكيمياء والفيزياء، والبيرونى هو أبو الريحان محمد بن أحمد، ولد سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م[٥]، بظاهر رستاق خوارزم وسمى لذلك البيرونى من بيرون بمعنى خارج أو ظاهر بالفارسية، وقد أمضى بداية حياته فى كنف المأمونيين حكام دولة خوارزم، ولقى منهم الحب

---

(١) دمية القصر جـ٢ ص١٠٩-١١٠.

(٢) دمية القصر جـ٢ ص١١١-١١٢.

(٣) نسبة إلى مدينة "كاث" إحدى العواصم الخوارزمية،وقد سبق التعريف بها.

(٤) دمية القصر ص١١٤-١١٦.

(٥) وقع خلط فى دائرة المعارف الإسلامية جـ٩ فقد ذكر تاريخ مولد البيرونى سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٣م، وفى ص٧ نفس الجزء ذكر تاريخاً مخالفاً لذلك، فقد ذكر ولادته سنة ٣٥١هـ/٩٦٢

والـــتقدير، فقـــد كان هؤلاء يحبون العلماء ويشجعونهم، ثم أن البـــيرونى قضـــى عدة سنوات فى بلاد شمس المعالى قابوس بن وشمكير حاكم جرجان وما حولها، وقد ألف البيرونى كتابه الاثار الباقـــية باسم هذا الأمير سنة ٣٩٠هـــ/ ٩٩٩م وفيما بين سنتى ٤٠٠، ٤٠٧هـــ/ (١٠٠٩-١٠١٦م) عـــاد البـــيرونى إلى بلاد خـــوارزم ومكـــث مدة طويلة ببلاط أبى العباس مأمون بن مأمون خوارزمشاه، وقد شاهد البيرونى ثورة الأمراء على خوارزمشاه، كما شاهد غارة السلطان محمود الغزنوى على بلاده انتقاماً[١].

وقـــد ســـاهم البـــيرونى بدور مهم فى مجال علوم الصيدلة والكيمـــياء والفيزياء (الطبيعة) فقد وضع كتابه فى علم الصيدلة المعـــروف بـــ "كتاب الصيدنة" أى الصيدلة وهو بحث فى المادة الطبية على نسق يشبه نوعاً ما بحث الطبيب الرومانى "ديوسقور يدس" الذى كان طبيباً للإمبراطور نيرون الرومانى والذى عاش فـــى القـــرن الأول بعـــد الميلاد، وقد سجل ٦٠٠ نبات طبى، لكن البـــيرونى قام بتسجيل خمسة أضعاف ما سجله ديوسقور يدس، وقـــيل أن أوصاف العقاقير التى وضعها ديوسقور يدس كانت من الغمـــوض بحيـــث أن معظمها- عدا حوالى مائة عقار- لا يمكن التعرف عليها، فإن من المثير رؤية كيف استطاع البيرونى التغلب على هذه المشكلة[٢]، وكان الأسلوب العلمى الذى اتبعه البيرونى

---

(١) جهار مقالة ص١٤٦

(٢) انظر مقدمة سخاو على كتاب "الآثار الباقية" للبيرونى ص٤٠-٤٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٩ ص٤؛ أحمد سعيد الدمرداش: البيرونى، أبو الريحان محمد ص٦٠.

فـــى تأليف كتابه لوصف عقار ما أن يقوم بدراسته تحت اسمه العربى، ثم يبحث مرادفاته فى اللغات الأخرى، ثم يقوم بتحديده[١].

كمـــا ضـــمن البيرونى كتابيه "الصيدنة"، "الجماهر فى معرفة الجواهـــر" مـــا توصل إليه فى مجال علم الكيمياء، وقد ألفهما فى شـــيخوخته وقدمها إلى السلطان الغزنوى مودود بن مسعود، وقد تفوق فى كتابه الجماهر على من سبقه فى هذا المضمار، إذ تفوق علـــيهم فـــى أوصاق الجواهر والفلزات،وهو من أوائل من وضع الوزن النوعى لبعض الفلزات والأحجار الكريمة بدقة متناهية[٢].

وفـــى مجـــال علم الفيزياء، يلاحظ أن البيرونى الخوارزمى وضـــع فى كتابه "الآثار الباقية" شروح وتطبيقات لبعض الظواهر الـــتى تتعلق بضغط السوائل وتوازنها، وقد عمل البيرونى تجربة لحساب الوزن النوعى، وتوصل إلى معرفة الوزن النوعى لثمانية عشر عنصراً مركباً من المعادن والأحجار الكريمة[٣].

- الرياضيات والفلك:

يعتـــبر منصـــور بـــن علـــى أبو نصر المعروف بابن عراق الخوارزمـــى مـــن أشهر علماء خوارزم فى مجال علم الرياضيات والفلـــك، وقـــد أخذ عنه أبو الريحان البيرونى، ومن مؤلفات ابن

---

(١) أحمد سعيد الدمرداش. المرجع السابق ص٦١-٦٢.

(٢) البيرونى: الاثار الباقية ص٤٦ (من الديباجة نهاية الكتاب لسخاو) دائرة المعارف الإسلامية م٩ ص٤؛ قـــدرى طوقان: العلوم عند العرب ص١٦٦-١٦٧؛ فاضل أحمد الطائى: أعلام العرب فى الكيمـــياء ص٢٤٦، (الهيـــئة المصرية للكتاب، القاهرة، بالاشتراك مع دار الشئون الثقافية العامة ببغداد، ١٩٨٦م).

(٣) عنـــر فروخ: تاريخ العلوم عند العرب ص٢٢٣؛ قدرى طوقان: المرجع السابق ص٣٣؛ عبد الحليم منتصر: تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ص١٥٩.

عـــراق: "المجســـطى الشـــاهى" و "تصحيح ما وقع لأبى جعفر الخازن من السهو فى زيج الصفائح" و"الدوائر التى تحد الساعات الزمانية" و"الرسالة فى براهين أعمال جدول التقويم" و"المقالة فى إصـــلاح شـــكل مـــن كتاب ما لا ناؤس فى الكريات" و"المقالة فى الـــبرهان على حقيقة المسألة التى وقعت بين أبى حامد الصغانى ومـــنجمى الـــرى" و"الرســـالة فـــى مجازات دوائر السموت فى الأســـطرلاب" و"الرسالة فى صنعة الاسطرلاب بالطريق الصناعى" و"الرســـالة المســـماة جدول الدقائق" و"الرسالة فى معرفة القسى الفلكية" و"رسالة فى جواب مسائل الهندسة"(١).

والبـــيرونى يعتـــبر أيضـــاً مـــن أعظم علماء القرنين الرابع والخامس الهجريين فى مجال الرياضيات والفلك، وله مؤلف شهير هـــو "التفهـــيم لأوائـــل صـــناعة التنجيم"(٢)، تناول فيه الهندسة والحساب والتنجيم، ويعرف "سميث" فى كتابه "تاريخ الرياضيات" بأن البيرونى كان ألمع علماء زمانه فى الرياضيات، وأن الغربيين مدينون له بمعلوماتهم عن الهند ومآثرها فى العلوم..." وقد حوت مؤلفاتـــه الأخـــرى معلومات قيمة فى مجال الرياضيات، وهو من

---

(١) البغدادى: هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين جـ٢ ص٤٧٣ (ط استانبول- ١٩٥١)؛ الزركلى: الأعلام جـ٧ ص٣٠١.

(٢) كتاب التفهيم: كتاب فى مقدمات علوم الهندسة والحساب والنجوم بطريق السؤال والجواب ألفه البيرونى سنة ٤٢٠هـ (١٠٢٩م)(من أجل ريحانة بنت الخسن الخوارزمية وكتبه باللغتين العربية والفارسية انظر: النظامى العروضى السمرقندى: جهار مقالة (المقالات الأربع ص١٤٨ (ترجمة من الفارسية إلى العربية عبد الوهاب عزام، يحيى الخشاب. ط القاهرة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م).

الذيـــن بحـــثوا فى تقسيم الزاوية إلى ثلاثة أقسام متساوية، كما كان ملماً بحساب المثلثات وعمل جداول رياضية للجيب والظل[١].

وكـــان البـــيرونى ينعت بالمنجم (الفلكى) [٢] ويعتبر هو وأبو الوفاء البوزجانى من عمالقة الفلك خلال القرنين الرابع والخامس الهجريـــين، ومـــن أجل أعمال البيرونى أرصاده الفلكية،ومؤلفاته المبســـطة التى وضعها فى مجال علم الفلك، كما أنه ابتكر نظرية جديـــدة لاســـتخراج مقـــدار محيط الأرض، استعمل لذلك معادلة لحساب نصف قطر الأرض سماها بعض العلماء فى أوربا "قاعدة البـــيرونى" ويقول "تيللينو" : "مما يستحق الذكر أن البيرونى بعد تأليـــفه كـــتاب فـــى الاسطرلاب أخرج تلك الطريقة من القوة إلى الفعـــل"[٣]، ومن مؤلفاته فى الفلك كتاب: "القانون المسعودى فى الهيـــئة والـــنجوم"[٤]، تـــناول فى كتابه السابق الذكر "التفهيم فى صـــناعة التنجـــيم"، بجانب الهندسة والحساب،معلومات قيمة عن الفلـــك، وقد ألفه فى نفس السنة التى اهدى فيها السلطان مسعود مؤلفه "القانون المسعودى وهى سنة ٤٢١هـــ/١٠٣٠م[٥].

---

(١) يـــاقوت: معجـــم الأدباء جـــ٥ ص١٢٦؛ جيهار مقالة: ص ١٤٨؛ عبد الحليم منتصر: تاريخ العـــلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ص١٥٩ (ط خامسة –دار المعارف، القاهرة – ١٩٧٣ م).

(٢) السمعانى: الأنساب جـــ١ ص٤٢٩.

(٣) قدرى طوقان: المرجع السابق ص١٦٧.

(٤) أخـــرج المجلـــس الأعلى للشئون الإسلامية المقالة الثالثة من القانون المسعودى عام ١٩٦٥م، وكـــان كتاب القانون للمسعودى قد طبع فى الهند عام ١٣٧٣هـــ/١٩٥٤م فى ثلاثة أجزاء– بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد– الدكن. عبد الحليم منتصر: تاريخ العلم ص ٢٣١.

(٥) جيهار مقالة ص٦٢. ياقوت: معجم الأدباء جـــ٥ ص١٢٤، دائرة المعارف الإسلامية م٩ ص٤

- التاريخ والجغرافيا والفلسفة:

كان البيرونى نابغة خوارزم له الباع الطويل فى مجال التاريخ والجغرافيا، ومن مؤلفاته فى التاريخ: كتابه "تاريخ خوارزم" أو المسامرة فى أخبار خوارزم وقد جمع فيه جميع الأخبار والآثار والقصص المتعلقة بوطنه خاصة الوقائع التاريخية التى عاينها بنفسه والغالب أن هذا الكتاب يعتبر مفقوداً، ولكن أبا الفضل البيهقى المؤرخ الغزنوى حفظ لنا فى نهاية كتابه بعض فصول كتاب البيرونى[١].

وكتابه الآثار الباقية السالف الذكر من مؤلفاته المهمة فى التاريخ فقد تحدث فيه عن كيفية تحديد بداية "التأريخ" وقد أخذ كثيراً من معلوماته الذى أودعها هذا الكتاب من افواه العلماء، فالمعلومات الطريفة فى التاريخ وتقاويم الأمم المختلفة خاصة تقويم الزردشتيين وأهل خوارزم والصغد وسمرقند أخذها عما سمع من العلماء والحكماء وأهل المذاهب فى الأمم المختلفة[٢].

تحدث البيرونى عن التأريخ فقال "مدة معلومة تعد من لدن أول سنة ماضية كان فيها مبعث نبى بآيات وبرهان، أو قيام ملك مسلط عظيم الشان أ هلاك أمة بطوفان عام فخرب أزلزله... أو

---

(١) البيهقى: تاريخ البيهقى (تاريخ المسعودى) ص٧٣٤؛ جيار مقالة ص١٤٦؛ السيوطى: بغية الوعاة جـ١ ص٥٠-٥١.

(٢) البيرونى: الآثار الباقية عن القرون الخالية ص٤.

انـــتقال دولة أو تبدل ملة أو حادثة عظيمة من الآيات السماوية والعلامات المشهورة الأرضية"[١].

ومهمـــا كان فبعد أن استولى محمود الغزنوى على الأراضى الخوارزمية سار البيرونى مع بقية علما البلاط الخوارزمشاهى إلى غـــزنة وذلـــك فـــى ربيع عام ٤٠٨هـــ/١٠١٧م وهناك صاحب السلطان محمود فى معظم غزواته لبلاد الهند وتعرف على العلماء والفلاســـفة وتعلم اللغة السنسكرتيية واتسعت ثقافته بما أفاد من الحكماء والهنود فى التاريخ والجغرافية والعلوم الطبيعية، ووضع كـــتابه الكبـــير "تحقـــيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مـــرزولة" وهو كتاب تاريخى وجغرافى لبلاد الهند هذا بجانب ما ضـــمنه مؤلفاته العديدة من معلومات تاريخية وجغرافية تدل على باعه الطويل فى التاريخ والجغرافيا[٢].

---

(١) البيرونى: المصدر السابق ص١٣.

(٢) جهار مقالة ص١٤٧؛ أحمد سعيد الدمرداش: البيرونى، أبو الريحان محمد بن أحمد، ص٨١، ص ٩٣، ص١٠٥.

يعتـــبر كتاب"تحقيق ما للهند من مقولة" من أهم كتب البيرونى فى مجال الجغرافية الوصفية وقد نشـــر عقـــب وفـــاة الســـلطان محمـــود الغزنوى عام ٤٢١هـــ/١٠٣١م،ويحتوى الكتاب عـــلىملاحظات البيرونى فيما يتعلق بالجغرافية الطبيعية، فتحدث عن السهول والسلاسل الجبلية ووصـــف أنهار (الهند) ومناخها وتضاريسها،كما يتناول طرق التجارة والمواصلات وسلع الهند المختلفة كالأقمشة وغير ذلك،وبذلك يكون البيرونى قد بسط فصولاً متعددة عن جغرافية الهند الوصفية والإقليمية والبشرية والاقتصادية تكشف عن مواهبه، فهو من أعظم جغرافى العصور الوســـطى (الـــبيرونى: تحقيق ما للهند من مقولة ص٩٦، ١٥٩ تحقيق إدوارد سخاو- ط ليدن ١٨٨٧م)؛ محمـــد عـــلى محمـــد الجندى تطبيق المنهج الرياضى فى البحث العلمى عند علماء المسلمين ص٢٢٧-٢٧٩ (ط دار الوفاء، المنصورة ١٩٩٠م)

والبيرونى كان فيلسوفاً أيضاً فهو يرى أن الفلسفة قد كشفت له غوامض كثيرة. وهى ظاهرة من ظواهر الحضارة. وفى رأيه أن مطالب الحياة تستلزم إيجاد فلسفة عملية تساعد الإنسان فى تصريف الأمور وتمييز الخير من الشر، والعدو من الصديق، وكان أثناء مقامه فى الهند معلم الناس الفلسفة اليونانية، ويتعلم هو بدوره الفلسفة الهندية[١].

وقد توفى البيرونى فى غزنة سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م فى السابعة والسبعين من عمره[٢]. إلا أن ياقوت جعل وفاته سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٨م وهذا مستبعد ويخالف ما ورد عن البيرونى نفسه فقد عاصر سقوط دولة المأمونيين عام ٤٠٨هـ/١٠١٧م على يد السلطان محمود الغزنوى ورحل مع السلطان وعايشه مدة حياته وحضر معظم غزواته ببلاد الهند،وذكر صاحب كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون أن وفاته كانت سنة ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م لذا تنحصر وفاة البيرونى ما بين عام ٤٣٠-٤٤٨هـ/ ١٠٣٨-١٠٥٦م ويبدو أن عام ٤٤٠هـ/١٠٤٨م هو القريب من الواقع، كما ذكر فى أغلب المصادر التى تناولت البيرونى[٣].

---

(١) جيار مقالة ص١٤٦-١٤٧؛ ياقوت: المصدر السابق جـ٥ ص١٢٦؛ ظهر الإسلام جـ٢ ص١٣٧؛ دى بور: تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص٢٠٨-٢٩٠٩ (ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة. ط ثالثة- القاهرة ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م، لجنة التأليف والترجمة والنشر)؛ قدرى طوقان: المرجع السابق، ص١٦٥.

(٢) جيار مقالة ص١٤٦.

(٣) جيار مقالة ص١٥٦؛ ياقوت: المصدر السابق جـ٥ ص١٢٦. ذكر فى دائرة المعارف الإسلامية جـ٩ ص٤ أن البيرونى توفى عام ٤٤٨هـ/١٠٤٨م والغريب أن على صفحة ٧ نفس الجزء من دائرة المعارف ذكر أن تاريخ الوفاة كانت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م.

- **العلماء والأدباء الذين وفدوا إلى خوارزم:**

من خيرة العلماء الذين وفدوا إلى خوارزم أبو على بن سينا، واسمه الحسين بن عبد الله ولد فى صفر سنة ٣٧٠هـ/٩٨٠م بقرية أفشنة[١] من قرى بخارى[٢].

ولما بلغ الخامسة من عمره انتقل مع والده إلى بخارى زمن الأمير السامانى نوح ابن منصور،وهناك تلقى علوم الدين واللغة،ورغبة والده على دراسة الفلسفة والهندسة والحساب، وأخذ يتلقى مبادئ الفلسفة والمنطق على يد عبد الله الناتلى نزيل بخارى وصديق والده، وبعد فترة فارقه الناتلى متوجهاً إلى كركانج عاصمة خوارزم، ومنذ ذلك اشتغل ابن سينا بتحصيل العلوم الطبيعية والإلهية والطب وبزغ فيه[٣].

ومهما كان فلما بلغ الشيخ ابن سينا الثانية والعشرين توفى والده واضطربت أحوال الدولة السامانية رحل من بخارى إلى كركانج، وكان على رأس طائفة العلماء والحكماء بقصر الأمير أبى

وانظر أيضاً حاجى خليفة: كشف الظنون جـ١ ص٩؛ عبد الحليم منتصر، تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ص١٥٧؛ قدرى حافظ طوقان، العلوم عند العرب ص١٦٤؛ أحمد سعيد الدمرداش، البيرونى ص١٧.

(١) ذكرها ياقوت الحموى فى معجم الأدباء بفتح الهمزة وسكون الفاء والشين مفتوحة، انظر جـ١ ص١٨٧.

(٢) توفى ابن سينا فى رمضان سنة ٤٢٨هـ/ ١٠٣٦م وقيل فى سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٥م، انظر خواندمير، دستور الوزراء ص٢٣١.

(٣) شمس الدين الشيروزورى، نزهة وروضة الأفراح، ورقة ٢٢٤، ٢٢٦ (مخطوط نسخة مصورة، جامعة القاهرة تحت رقم ٢٤٠٣٧)؛ القفطى: المصدر السابق ص٢٦٩-٢٧٠.

العباس مأمون خوارزمشاد وهو من افاضل الملوك الذين صادقوا أهل العلم والحكمة. وهؤلاء هم: "أبو سهل المسيحى. وابو الخير الخمار، وأبو الريحان البيرونى، وابو نصر العراق، وقد ذكر صاحب جهار مقالة أن هذه الطائفة من العلماء كانت فى القصر غنية عن أمور الدنيا، وكان لبعضهم أنس لبعض بالمحارة وطيب عيش بالمكاتبة"(١).

ولابن سينا عدة مؤلفات ورسائل فى علوم الطب والفلسفة والإلهيات والرياضيات واللغة والمنطق والفلك والطبيعيات والنفس، وهى تزيد على المائة. ومن مؤلفاته فى مجال علم التصوف كتابه "الإشارات والتنبيهات" ويتضمن النمطين الثامن والتاسع من هذا الكتاب بحثاً فى التصوف وأحوال العارفين ومقاماتهم، وقيل أن ما كتبه ابن سينا فى ذلك يفوق بكثير ما كتبه أغلب أكابر الصوفية(٢).

ومن مؤلفات ابن سينا فى مجال الطب: كتاب القانون وهو اشهر مؤلفاته الطبية انتشر فى معظم البلدان الإسلامية ونهر منه الكثير وفى العصر الحديث أصبح موضوع عناية الأوربيين، وكان

---

(١) جهار مقالة: ص٨١؛ القفطى: نفس المصدر ص٢٧١؛ خواندمير: المصدر السابق ص٢٢٦-٢٢٧.

(٢) خواندمير: المصدر السابق ص٢٣٣؛ كشف الظنون جـ١ ص٩٤؛ عبد المنعم الحفنى. الموسوعة الصوفية ص٢٢٣ ط القاهرة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

عليه المعول فى التدريس بالكليات الأوربية أواسط القرن السابع عشر الميلادى[١].

والكتاب الثانى: تدارك أنواع الخطأ فى التدبير الطبى وضعه ابن سينا باسم "الحسين أحمد بن محمد السهيلى وزير على بن مأمون خوارزمشاد الذى ولى الملك سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م، وطبع هذا الكتاب بمصر عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م باسم "دفع المضار الكلية عن الإنسانية بتدارك أنواع خطأ التدبير"[٢].

أما فى مجال الكيمياء والرياضيات فقد أودعها كتابه "الشفاء"[٣] مع علوم الحكمة والمنطق، فقد خصص فيه جزءا لدراسة "المعادن وخواصها" كما خصص فيه جزءاً للرياضيات تناول خلاله أصول الهندسة وعلم الحساب[٤].

---

(١) القفطى، ص٢٧٢؛ قدرى طوقان، العلوم عند العرب ص١٥٥ ط القاهرة ١٩٥٦.

(٢) جهار مقالة ص٧٧، ١٦٧.

(٣) كتاب الشفاء يقع فى ثمانية وعشرين مجلداً يضم فصولاً فى المنطقة وفى الطبيعيات والفلسفة والرياضيات والهندسة (فى الفن الأول من جملة علم الرياض)، والجزء الثانى من كتاب الشفاء فى علم الحساب (القفطى: المصدر السابق ص٢٧٢، دستور الوزراء ص٢٣٣) وقد حققه الجزء الخاص بالهندسة عبد الحميد صبره، عبد الحميد لطفى مظهر (ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م)، كما حقق الجزء الثانى الخاص بالحساب عبد الحميد لطفى مظهر، وراجعه إبراهيم بيومى مدكور (القاهرة، ١٩٧٥م).

(٤) ارجع إلى القفطى ص٢٧٣؛ وفيات الأعيان جـ١ ص٤٢٢؛ خواندمير: دستور الوزراء ص ٢٣٣؛ عبد الحليم منتصر: تاريخ العلم ص٢٢٤؛ فاضل أحمد الطائى أعلام العرب فى الكيمياء ص٢٠٣-٢٠٤ (الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، بالاشتراك مع دار الشئون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٦م).

ومـــن علمـــاء الطـــب الذين وفدوا إلى خوارزم على عهد المأمونيين أبو سهل عيسى بن يحيى المسيحى الجرجانى، ولد فى جرجان ونشأ وتعلم ببغداد، عنه أخذ ابن سينا صناعة الطب، اطلع ابن أبى أصيبعة على نسخة من كتاب للمسيحى بخطه، وفى أظهار حكمـــة الله تعـــالى فـــى خلق الإنسان" وقال إنه فى نهاية الصحة والإتقان، وأن كتابه أيضاً "الطب الكلى"، وكتاب "المئة فى الصناعة الطبـــية" وهو من أجود كتبه وأشهرها، وله مقالة فى "الجدرى"، و"أصول الطب"، وكتاب فى "الوفاء وآخر فى "تعبير الرؤيا" ألفهما للملـــك العادل خوارزمشاه أبى العباس مأمون بن محمد،وقد مات المسيحى فى سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م بعد أن عاش أربعين عاماً[١].

ومن علماء اللغة العربية وآدابها الوافدين إلى دولة خوارزم نذكر أبو منصور الثعالبى[٢] وهو شاعر وأديب، أخذ عن أبى بكر الخوارزمى وتأليف الثعالبى معظمها فى مجال علم الأدب ورجاله، فهو "جامع أشتات النثر والنظم، راس المؤلفين فى زمانه، صادق الأدبـــاء وحـــاز القـــبول لدى معظم حكام ووراء الدول الإسلامية المســـتقلة بالمشرق فقد سعى إلى بلاد قابوس بن شمكير،وأهداه كتابـــيه "المبه" و "التمثيل والمحاضرة" واقام مدة ببلاط مأمون بن مأمون أمير دولة خوارزم، وأهدى إليه كتبه "النهاية فى الكتابة"،

---

(١) انظـــر: تاريخ حكماء الإسلام، ص٩٥؛ طبقات الأطباء ٣٢٧/١، ١٩/٢؛ الأعلام جـــ٥ ص ١١١٠.

(٢) هو عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، ولد بنيسابور عام ٣٥٠هـــ (٩٦١م) وتوفى عام ٤٢٩هـــ (١٠٣٧م)؛ وفيات الأعيان جـــ٢ ص٣٥٠-٣٥٢.

"نثر النظم" و"اللطائف والظرائف". كما اهدى كتابه "لطائف المعارف" للصاحب بن عباد الوزير البويهى،وكتابه "سحر البلاغة" و "فقه اللغة" للأمير أبى الفضل الميكالى بنيسابور[١].

وقد أهدى الثعالبى عدة مؤلفات فى اللغة والأدب شعره ونثره إلى خوارزمشاهى الدولة الأولى ومن هذه المؤلفات كتاب "الكناية والتعريض" وهو كتاب فى البلاغة، ألفه لخوارزمشاه مأمون بن مأمون،ويسمى أيضاً "الكفاية فى الكناية"، أو "النهاية فى التعريض والكناية"، و"كتاب نثر النظم وحل العقد" وهو نثر لأبيات "مؤنس الأدباء" لمؤلف مجهول ألفه بأمر خوارزمشاه وكتاب "اللطائف والظرائف فى مدح محاسن الأشياء وأضدادها" وهو مؤلف لخوارزمشاه أبو العباس مأمون، وكتاب "سراج الملوك" أو "آداب الملوك" ويقال إنه ألفه لخوارزمشاه أيضاً، وهو كتاب فى "التأدب"[٢].

ومما سبق يتبين لنا مدى تقدم وازدهار الحياة الثقافية فى خوارزم على عهد دولة المأمونيين، وكيف أصبحت عاصمتهم جرجانية قبلة للعلماء والمفكرين والأدباء كالعواصم الإسلامية الكبرى بغداد ودمشق والقاهرة، كما وضح لنا دور العلماء والفقهاء والأدباء الخوارزميين الذين ساهموا بجهد عظيم فى

---

(١) انظر مقدمة كتاب "التمثيل والمحاضرة" للثعالبى، تحقيق وتقديم محمد الحلو، ط بيروت ١٩٨٣.

(٢) الثعالبى: التمثيل والمحاضرة ص١٤-٢٣ من المقدمة للدكتور محمد الحلو؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان جـ٢ ص٣٥٠-٣٥٢ (ترجمة ٣٥٤)؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربى جـ٥ ص ١٨٥-١٩٧.

انـــتقال العلـــوم والمعارف والآداب داخل خوارزم وخارجها عن طريق رحلاتهم العلمية إلى الآفاق.

خاتمة البحث

وبعد فقد تعرض هذا البحث إلى دراسة التاريخ السياسى والحضارى لدولة المأمونيين بخوارزم بمنطقة آسيا الوسطى، وهى أول دولة إسلامية قامت فى هذه المنطقة وهى دولة مستقلة كشقيقاتها الدول المستقلة الإسلامية فى المشرق الإسلامى خلال العصر العباسى الثانى (٢٣٢-٦٥٦هـ)، وحظى أمراء دولة المأمونيين باعتراف الخلافة العباسية بسلطانهم فأرسلوا لهم "الخلعة والعهد واللواء" كحكام شرعيين لدولة خوارزم، كما لقبوهم بالألقاب التى تليق بسلطانهم،ومن هذه الألقاب: "عين الدولة وزين الملة" الذى لقب بن أبو العباس مأمون بن مأمون خوارزمشاد، ولقب خوارزمشاد هذا استمر إطلاقه على الأمراء والسلاطين الخوارزميين منذ الفتح الإسلامى حتى عهد قريب ومرجعه لمسمى الإقليم.

وخلال دراستنا للتاريخ السياسى لدولة المأمونيين تعرفنا على الدور المهم الذى لعبته هذه الدولة فى العلاقات السياسية والصراعات التى كانت تنشب بين دول آسيا الوسطى، وفترات السلم والأمن والسلام خلال ذلك هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كان لدولة المأمونيين علاقات وروابط سياسية وتجارية مع القبائل التركية والمتتركة التى تقع على الحدود الإسلامية فى شمال شرق آسيا، وفى المنطقة التى تقع شمال بحر الخزر (قزوين) حتى نهر إتل فى قارة أوربا، كما كانت خوارزم من أهم الثغور الإسلامية

المواجهة للترك، وتقوم بمهام الدفاع وحماية الحدود الإسلامية من وراء نهر سيحون ونهر إتل (الفولجا) من القبائل المتوحشة.

ومن الدول التى عاصرت دولة المأمونيين وارتبطت معها بعلاقات سياسية واقتصادية الدولة السامانية والدولة الخانية (الإيلكخانية) والدولة الغزنوية، كما كانت هناك علاقات ذات شأن مع الخلافتين العباسية فى بغداد، والفاطمية فى مصر رغم بعد المسافة التى تفصل بينهما وبين خوارزم.

ونظراً للموقع الجغرافى الفريد لخوارزم وارتباطها بالطرق البرية الرئيسية والفرعية التى ربطت بينها وبين أقاليم الدولة الإسلامية الكبرى خاصة فى جناحها الشرقى، إلى جانب قربها من بحر الخزر وصلاحية نهر جيحون وفروعه للملاحة النهرية، أن ازدهرت التجارة الداخلية والخارجية لدولة المأمونيين مع الأقاليم الإسلامية، والقبائل التركية المحيطة بخوارزم.

ووضح خلال تناولنا للنشاط الزراعى أن توفر الماء والأراضى الخصبة على جانبى نهر جيحون، ودلتاه الخصبة كان له عظيم الأثر فى تنوع المحاصيل الحقلية والبستانية وأهمها القطن والقمح والفواكه، كما انتشرت مراعى الأغنام والخيول فى العديد من نواحى خوارزم.

ورأينا- أيضاً- أن سكان خوارزم عملوا فى العديد من الصناعات والحرف وأجادوا فيها، ومن هذه الصناعات الغزل

والنسيج والأقمشة الحريرية والصوفية والقطنية والصناعات الجلدية التى كثر عليها الطلب فى الأقاليم الإسلامية وصدر منها الكثير مما جلب للبلاد الخير والمال الوفير.

ومن الصناعات التى أتقنها السكان الخوارزميون وأشار إليها البحث صناعة آلات الحديد والأقفال، وصناعة السيوف والقسى والرماح القوية والدروع، ومنها أيضاً صناعة الغراء من السمك والسفن،وغيرها.

أما بالنسبة للجانب الثقافى، فخوارزم بمدنها ونواحيها تقع على نهر جيحون ودلتاه، ولها حضارتها العريقة كحضارة مصر الفرعونية، وحضارة بلاد الرافدين فى العراق، وقد ازداد عطاء هذه الحضارة وازدهرت مناحيها المختلفة بعد الفتح الإسلامى لخوارزم، واستمرت الحركة العلمية والعلاقات الثقافية فى الرقى والتقدم خلال تاريخ خوارزم الإسلامى خاصة فى عصر دولة المأمونيين الذين أولوا اهتمامهم بالعلم والعلماء، وحتى أصبحت خوارزم مفخرة بعلمائها وفقهائها ومفكريها بين دول الإسلام، وصارت قصور المأمونيين قبلة أساتذة العلم والفكر من ربوع العالم الإسلامى.

وقد عرضنا خلال صفحات البحث عدد كبير من العلماء والفقهاء والمحدثين والأدباء الخوازميين، شاركوا جميعاً فى ازدهار العلوم والمعارف المختلفة فى المراكز الثقافية بدولة خوارزم، وفى الأقاليم الإسلامية الأخرى.

قائمة بأسماء المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

أ – المخطوطة:

- العينى (بدر الدين محمود بن أحمد ت ٨٥٥هـ/١٤١٥م)
  عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان (مخطوط مصور رقم ١٥٨٤، ٦٩ مجلداً– دار الكتب المصرية

ب– المطبوعة

- ابن الأثير (أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)
  الكامل فى التاريخ (٩ أجزاء – ط ثانية بيروت ١٣٨٧ هـ/١٩٦٧م)
- ابن أبى اصيبغة (عوض الدين أبو العباس أحمد بن أبى القاسم الخزرجى ت٦٦٧هـ/١٢٦٨م)
  عيون الأنباء فى طبقات الأطباء (ط بيروت ١٩٦٥م).
- الإدريسى (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله ت٥٦٠ هـ/١١٧٤م)
  نزهة المشتاق فى اختراق الافاق (نشر مكتبة الثقافة الدينية– القاهرة– بدون تاريخ).
- الاصطخرى (أبو اسحق بن محمد الفارسى المعروف الكرخى المتوفى فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى).

المسالك والممالك (ط ليدن ١٩٢٧، ط القاهر ١٣٨١هـ/١٩٦١م، تحقيق محمد جابر عبد العال.

- الباخرزى (أبو الحسن على بن الحسن بن على ت ٤٦٧ هـ/١٠٧٤م)

دمية القصر وعصرة أهل العصر (تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ط دار الفكر العربى، القاهرة).

- البدليسى (شرف خان)

شرفنامة جـ١ (ترجمة من الفارسية إلى العربية د. يحيى الخاب).

- البغدادى: (أبو منصور عبد القاهر ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م).

الفرق بين الفرق (حققه محمد محيى الدين عبد الحميد).

- البلاذرى: (أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)

فتوح البلدان (نشر صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية.

- البلخى:

البدء والتاريخ جـ٦ (نشر كلمان هوار- باريس ١٨٩٩ ط دار صادر، بيروت).

- البندارى: (الفتح بن على بن محمد، توفى فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى).

اختصار كتاب تاريخ دولة سلجوق (لعماد الدين محمد بن حامد الأصفهانى ط القاهرة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م).

- البيرونى (أبو الريحان محمد بن أحمد ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م)
- الآثار الباقية عن القرون الخالية (نشر إدوارد سخاو، ليبزج ١٩٢٣، ط مكتبة المتنبى، القاهرة).
- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة (نشر إدوارد سخاو، ط ليدن، ١٨٨٧م).
- ابن البيطار (الشيخ ضياء الدين أبى محمد المالقى الأندلسى ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م):
الجامع لمفردات الأدوية والأغذية (٤ أجزاء) (ط القاهرة ١٢٩١هـ)
- البيهقى: (أبو الفضل محمد بن حسن ت ٤٧٠هـ/١٠٧٧ م):
تاريخ اليهقى (تاريخ مسعودى) (نقله من الفارسية إلى العربية يحيى الخشاب، صادق نشأت، ط مكتبة الأنجلو المصرية- ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م)
- التيفاشى: (أحمد بن يوسف ت ٦٥١هـ/١٢٥٣م)
أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار (حققه محمد يوسف حسن، محمود بسيونى خفاجى، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م).
- الثعالبى: (أبو منصور عبد الملك الثعالبى النيسابورى ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م)

- يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر (تحقيق مفيد محمد قميحة، ط أولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت).
- التمثيل والمحاضرة (تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، د١٩٨٣، بيروت).
- غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم (ط باريس، بدون تاريخ).
- الجاحظ: (أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م) التبصر بالتجارة (تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب،ط ثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، دار الكتاب الجديد، بيروت).
- الجرجانى (على بن محمد أبو الحسن الحسينى ٧٤٠-٨١٦هـ/١٣٣٩-١٤١٣م) التعريفات (ط مكتبة مصطفى البابى الحلبى، القاهرة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م)
- ابن الجزرى (شمس الدين أبو الخير محمد بن على ت ٨٣٣ هـ) غاية النهاية فى طبقات الفقهاء نشر ج. برجستر استر، ط ثالثة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، دار الكتب العلمية، بيروت).
- ابن الجوزى: (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبى الحسن ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)

المنـــتظم فـــى تاريخ الأمم والملوك (ط الهند. حيدر أباد- الدكن ١٣٥٨-١٣٥٩).

- جمـــال الدين بن غازى (أبو الحسن على بن أبى منصور ظافر بن الحسين ٥٦٧-٦١٣هـ/١١٧١-١٢١٦م).

أخبار الدول المنقطعة، تاريخ الدولة العباسية (تحقيق محمـــد بن مسفر بن حسين الزهرانى، ط ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، المدينة المنورة، السعودية، مكتبة الدار.

- الجويـــنى: (علاء الدين عطا بن بها الدين محمد ت ٦٨١ هـ/١٢٨٢م)

تاريخ جهانكشاى، الجز الثالث (ترجمة محمد السعيد جمال الدين، القاهرة ١٩٧٥م)

- حاجى خليفة (مصطفى بن عبد الله- كاتب حلبى ت١٠٦٩ هـ)

كشـــف الظـــنون عـــن أسامى الكتب والفنون (مكتبة المثنى _بغداد).

- ابن حجر العسقلانى (أحمد بن على بن محمد ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)

تهذيب التهذيب (ط بيروت – بدون تاريخ).

- ابن حزم (الظاهرى الأندلسى ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م):

الفصـــل فى الملل والأهواء والنحل (ط مكتبة السلام العالمية، القاهرة، بدون تاريخ).

- حمد الله المستوفى القزوينى (ت ٦٣٠هـ/٣٢٩م):

تـــاريخ كزيدة (الجز الخاص بتاريخ السامانيين، نر شـــيفر، وهـــو ذيل على تاريخ بخارى للنرشخى، ط القاهـــرة ١٩٦٢م)، وتـــرجمه الباب الرابع (الفصول الثمانـــية الأولـــى مـــن نفس الكتاب- ترجمة محمود مرسى قشطة، رسالة ماجستير، قسم اللغات الشرقية، آداب عين شمس، ١٩٦٨م).

- الحسينى (أبو بكر بن هداية الله ت ١٠١٤هـــ)

طـــبقات الشـــافعية (تحقـــيق عادل نويهض، ط ثالثة ١٩٨٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت).

- الحســـينى (صدر الدين أبو الحسن على بن ناصر ت بعد ٦٢٢ هـــ/١٢٢٥م)

زبـــدة الـــتواريخ- أخبار الأمراء والملوك السلجوقية (تحقيق محمد نور الدين، ط أولى، ١٤٠٥هـــ/١٩٨٥ م، دار اقرأ، بيوت).

- ابن حوقل (أبو القاسم ت ٣٦٧هـــ/١٩٧٧م):
  - المسالك والممالك (ط ليدن – بريل ١٨٧٢م)
  - صورة الأرض (ط ثانية – ليدن – بريل ١٩٣٨م).

- ابـــن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ت حوالى عام ٣٩٩هـــ/٩١٢م)

المســـالك والممالك (تحقيق محمد مخزوم ط ١٩٨٨، دار إيحاء التراث العربى، بيروت).

- الخطيب البغدادى (أبو بكر أحمد بنعلى بن ثابت، ٣٩٢-٤٦٣ هـ/ ١٠٠١- ١٠٧٠م)
موضح أوهام الجمع والتفريق (تحقيق عبد المعطى أمين قلعجى، ط أولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) دار المعرفة، بيروت.
- ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥-١٤٠٦م).
- العبر وديوان المبتدأ والخبر (ط سادسة ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ بيروت).
- المقدمة (ط خامسة ١٩٨٤- دار القلم بيروت).
- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ٦٠٨ هـ/١٢١١- ١٢٨٣م).
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٤٩م).
- الخوارزمى (أبو بكر محمد ت ٣٨٣هـ/ ٩٩٣م)
رسائل الخوارزمى (تصحيح محمد قطة العدوى، ط ١٢٧٩هـ، مطبعة عبد الرحمن رشدى بك، القاهرة).
- الخوارزمى (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف ت ٣٨٧هـ/٩٧٧م).
مفاتيح العلوم (ط ثانية ١٤٠١هـ/١٩٨١م، مطبعة المعرفة، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة).

- الخوارزمى (أبو عبد الله محمد بن موسى، ت بعد سنة ٢٣٢ هـ/٨٤٦م).

صورة الأرض (ط فيينا، ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م).

- خواندمير (غياث الدين محمد بن همام الدين ت ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م):

دستور الوزراء (ترجمة من الفارسية إلى العربية حربى أمين سليمان، تقديم فؤاد عبد المعطى الصياد، ط الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٠م).

- الداودى (الحافظ شمس الدين محمد بن على بن أحمد ت ٩٤٥ هـ/ ١٤٣٨م).

طبقات المفسرين (جزءان) (تحقيق على محمد عمر- ط أولى ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، القاهرة).

- الذهبى (الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ/١٢٨٦م).

- دول الإسلام (ط الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٤م).

- العبر فى خبر من غبر (ط الكويت ١٩٦٣م).

- ابن رستة (أبو على أحمد بن عمر ت ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م):

الأعلاق النفيسة (ط دار إحياء التراث العربى، بيروت).

- رشيد الدين (فضل الله بن عماد الدولة أبى الخير بن موافق الدولة ت ٧١٨هـ/١٣١٨م):

جـــامع الـــتواريخ، تـــاريخ المغول (المجلد الثانى- الجـــزء الأول) نقله من الفارسية إلى العربية صادق نشـــأت، محمـــد موســـى هنداوى، فؤاد عبد المعطى الصياد (ط وزارة الثقافة والإرشاد القومى، القاهرة).

- السبكى (تاج الدين أبى نصر عبد الوهاب بن على عبد الكافى، ٧٢٧- ٧٧١هـ/ ١٣٢٦-١٣٦٩م):
طـــبقات الشـــافعية الكـــبرى، تحقـــيق محمد محمود الطـــناحى، عبد الفتاح محمد الحلو (ط أولى، القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م).

- السمعانى (أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمى ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م):
الأنســـاب، تقديـــم وتعليق عبد الله عمر البارودى (ط أولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، دار الجنان- بيروت).

- السهمى (أبو القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم ت ٤٢٧هـ)
تـــاريخ جرجان (ط رابعة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، عالم الكتب، بيروت).

- ابن سينا (أبو على الحسين بن عبد الله)
كـــتاب الشفاء (الفن الثانى فى الرياضيات)((تحقيق عـــبد الحمـــيد لطفـــى مظهر، راجعه إبراهيم بيومى مدكور، ط القاهرة ١٩٧٥م).

- الســـيوطى (عبد الرحمن بن أبى بكر جلال الدين ت ٩١١ هـ/١٥٠٥م)

- بغـــية الوعـــاة فى طبقات اللغويين والنحاة (تحقيق محمـــد أبـــو الفضل إبراهيم. ط أولى ١٣٨٤هـــ/ ١٩٦٤م. القاهرة).
- طـــبقات المفســـرين (تحقيق على محمد عمر، ط أولى. القاهرة ١٣٩٦هـــ/ ١٩٧٦م).
- الشـــيرازى (أبو اسحاق ٣٩٣-٤٧٦هـــ/ ١٠٠٢-١٠٨٣ م).

طبقات الفقهاء (تحقيق إحسان عباس ط ثانية ١٤٠١ هـــ/ ١٩٨١م بيروت).

- الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير (٢٢٤-٣١٠هـــ/ ٨٣٨ -٩٢٢م):

تـــاريخ الرســـل والملـــوك (٩ أجزاء- الجزء العاشر فهـــارس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط رابعة، دار المعارف، القاهرة).

- العتـــبى (أبـــو نصـــر محمد بن عبد الجبار ت ٤٢٧هـــ/ ١٠٣٦م).

تـــاريخ اليمينى (جزءان، القاهرة ١٢٨٦هـــ/ وعلى الكتاب شرح لأحمد بن عمر الدمشقى المنينى).

- ابن العماد الحنبلى (أبو الفلاح عبد الحى بن على بن محمد ت ١٠٨٩هـــ/ ١٦٧٩م):

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب (ط القاهرة ١٣٥٠ هـــ).

- عمرانى محمد بن على بن محمد:
الأنباء في تاريخ الخلفاء (قدمه وعلق عليه باللغة الفارسية تقى بينش_ مشهد ٥١٣٦٣.ش).
- الفارابى (أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان ت ٣٣٩ هـ/ ٩٥٠م):
إحصاء العلوم (حققه وعلق عليه عثمان أمين، ط ثالثة ١٩٦٨م، القاهرة).
- ابن فضلان (أحمد بن العباس بن راشد بن حماد):
رحلة ابن فضلان (فى وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة ٣٠٩هـ/ ٩٢١م) حققها وعلق عليها سامى الدهان، نشر مكتبة الثقافة العالمية، بيروت).
- ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن محمد الهمذانى (ت ٣٩٠هـ/ ٩٠-٢م).
مختصر كتاب البلدان (ط أولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، بيروت).
- قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ/ ٩٤٩م):
الخراج وصناعة الكتابة (ط دار الرشيد، بغداد ١٩٨١ م).
- القزوينى (أبو عبد الله زكريا بن محمود، ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م):
آثار البلاد وأخبار العباد (ط دار صادر – بيروت).

- القفطـــى: (الوزيـــر جمال الدين أبى الحسن على بن القاضى الأشرف يوسف ت ٦٤٦هـ ١٢٤٨م):
أخـــبار العلمـــاء بأخـــبار الحكماء (ط مكتبة المتنبى. القاهرة، بدون تاريخ).
- الكرديـــزى (أبـــو سعيد عبد الحى بن الضحاك بن محمود، ت ٤٤٢هـ/ أو ٤٤٣هـ/ ١٠٥٠-١٠٥١م):
زيـــن الأخـــبار (ج١، ج٢) (ترجمة عن الفارسية إلى العربية عفاف السيد زيدان ط أولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، دار الطباعة المحمدية الأزهرية، القاهرة).
- المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين بن على، ت ٣٤٦ هـ/٩٥٦م):
- مروج الذهب ومعادن الجوهر (٤ أجزاء) (تحقيق محمـــد محى الدين عبد الحميد، ط بيروت، بدون تاريخ).
- التنبيه والإشراف (ط بيروت، بدون تاريخ).
- مسكويه (أبو على أحمد بن محمد ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م)
تجـــارب الأمـــم ـجـــ٢، نشر دار الكتاب الإسلامى، القاهرة).
- المقدســـى (شـــمس الديـــن أبو عبد الله محمد المعروف بالبشارى ت٣٨٨هـ/٩٧٧م):

أحسن التقاسيم فىمعرفة الأقاليم (وضع مقدمته وهوامشه محمد مخزوم ط ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م دار إحياء التراث العربى، بيروت).

- المقريزى (تقي الدين أحمد بن على ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١ م):
  - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (جزءان، ط بيروت عن طبعة بولاق، ١٢٧٠هـ).
  - السلوك لمعرفة دول الملوك (الجز الأول نشر وتحقيق مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٣٦م).
- المقفى الكبير (٩ أجزاء تحقيق محمد اليعلاوى، دار الغرب الإسلامى، ط أولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، بيروت).
- النرشخى (أبو بكر محمد بن جعفر ٢٨٦-٣٤٨هـ/ ٨٩٩ -٩٥٩م):

تاريخ بخارى (عربة عن الفارسية وحققه أمن عبد المجيد بدوى، نصر الله مبشر الطرازى، ط دار الكتب المصرية، ١٩٦٢-١٩٩٣م).

- النسوى (نور الدين محمد بن أحمد بن على بن محمد المنشى وزير السلطان جلال الدين منكبرتى)

سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى (نشر وتحقيق حافظ أحمد حمدى، القاهرة ١٩٥٣م).

- نظام الدين أحمد بخشى الهروى

طبقات أكبرى (ترجمة عن الفارسية أحمد عبد القادر الشاذلى، ط أولى، القاهرة ١٩٩٥م).

- النظامى العروضى السمرقندى:

جهار مقالة (المقالات الأربع) ترجمة من الفارسية إلى العربية عبد الوهاب عزام، يحيى الخشاب، ط القاهرة ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م).

- ابن الوردى (أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر ت ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨م):

تتمة المختصر فى أخبار البشر (تاريخ ابن الوردى ط القاهرة ١٢٨٥م).

- ياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى، ت ٦٢٦هـ ١٢٢٨م):

- معجم البلدان (٥ أجزاء، ط دار صادر ١٩٧٩م بيروت).
- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) (٥ أجزاء، ط أولى، ١٤١١هـ/١٩٩١م، دار الكتب العلمية، بيروت.

- يحيى بن آدم: (يحيى بن آدم ت ٢٠٣هـ/٨١٨م):

كتاب الخراج (ط القاهرة، ١٣٤٧م).

- اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)

تـــاريخ الـــيعقوبى (جـــ١ ط ١٣٧٩هـــ/ ١٩٧٠م، بيروت)

ثالثاً: المراجع العربية والمترجمة:

- أبرار كريم:

مـــن هـــم التـــتار (ترجمه من الروسية رشيدة رحيم الصبروتى، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤ م).

- أحمد أمين:

- ضحى الإسلام (جـــ١ ط القاهرة ١٩٣٨م).
- ظهر الإسلام (ط خامسة ١٩٧٧م، مكتبة النهضة المصرية).

- أحمد أمين مصطفى:

أبو بكر الخوارزمى، حياته وأدبه.

- أحمد السعيد سليمان:

تـــاريخ الـــدول الإســـلامية ومعجم الأسرات الحاكمة (جزءان، ط القاهرة ١٩٧٢م).

- ادريس (محمد محمود):

تـــاريخ العـــراق والمشـــرق الإســـلامى خلال العصر الســـلجوقى الأول (نشـــر مكتبة نهضة الشرق جامع القاهرة ١٩٨٥م).

- إسعاد عبد الهادى قنديل:

فنون الشعر الفارسى (ط أولى، القاهرة ١٩٧٥م).

- إقبال (عباس الأشتيانى):
تـــاريخ إيران بعد الإسلام (من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية) نقله عن الفارسية وقدم وعلـــق علـــيه محمـــد عـــلاء الدين منصور، راجعه السباعى محمد السباعى، ط ١٤١٠هـــ/١٩٩٠م دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
- بارتولد. و (فاسيلى فلاديمير وفتش):
- تـــاريخ الـــترك فـــى آســـيا الوسطى (ترجمة من الروسية إلى التركية محمد فؤاد كوبريلى،وترجمه إلـــى العربية، د. أحمد السعيد سليمان، ط الأنجلو المصرية ١٩٥٨م).
- تركســـتان مـــن الفتح العربى إلى الغزو المغولى (نقلـــه عـــن الروســـية صلاح الدين عثمان هام، أشـــرف على طبعه قسم التراث العربى، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط أولى ١٤٠١هـــ/ ١٩٨١م).
- الدمرداش (أحمد سعيد الدمرداش):
البـــيرونى (سلسلة أعلام الإسلام، ط القاهرة، ١٩٨٠ م).
- دنلوب (د.م):

تاريخ يهود الخزر (نقله إلى العربية سهيل زكار. ط أولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. دار الفكر العربى. بيروت).

- دى بور:

تاريخ الفلسفة فى الإسلام، (ترجمه محمد عبد الهادى أبو ريده، ط ثالثة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م).

- زبيدة عطا:

الترك فى العصور الوسطى (بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون) ط دار الفكر العربى، القاهرة.

- الزركلى:

الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين، والمستشرقين (ط، دار العلم للملايين، بيروت).

- الساداتى (أحمد محمود):

- تاريخ المسلمين فى شبه القاهرة الهندية وحضارتهم جـ١ (ط مكتبة الآداب، القاهرة ١٩٥٨م).
- محاضرات فى تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها (ط ١٩٧٦، القاهرة).

- سرور (محمد جمال الدين):

تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق (من عهد نفوذ الأتـــراك إلىمنتصـــف القرن الخامس الهجرى)ط دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٦٦م.

- الشحات (على أحمد):

أبـــو الـــريحان البـــيرونى (ط دار المعارف، القاهرة ١٩٦٨م).

- شوقى ضيف:

تاريخ الأدب العربى (ط دار المعارف، القاهرة ١٩٨٠ م).

- شرين عبد النعيم حسنين:

مسلمو تركستان والغزو المغولى (ط القاهرة، ١٩٨٥ م).

- الطائى (فاضل أحمد):

أعـــلام العرب فى الكيمياء (الهيئة المصرية للكتاب، بالاشتراك مع دار الشئون الثقافية العامة

- طوقان (قدرى حافظ):

العلوم عند العرب (ط ١٩٣٩م، الفجالة، القاهرة).

- عبد الحليم منتصر:

تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه (ط خامسة ١٩٧٣م، دار المعارف، القاهرة).

- عبد الرحمن فهمى محمد:

موسوعة النقود العربية وعلم النميات (فجر السكة العربية) ط دار الكتب، القاهرة ١٩٦٥م.

- عبد السلام عبد العزيز فهمى:

تاريخ اللغات الإيرانية (ط، القاهرة ١٩٧٢م).

- عصام الدين عبد الرؤوف:

الدول الإسلامية المستقلة فى الشرق (ط دار الفكر العربى).

- فامبرى (أرمنيوس):

تاريخ بخارى (ترجمة أحمد محمود الساداتى، راجعه د. يحيى الخشاب، ط ١٩٦٠م، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة)..

- فتحى أبو سيف:

المشرق الإسلامى بين التبعية والاستقلال (الطاهريون) ط القاهرة ١٩٧٨م

- فروخ (عمر):

تاريخ العلوم عند العرب (ط ثالثة، ١٩٨٠م، دار العلم للملايين، بيروت).

- كراتشكومنسكى:

تاريخ الأدب الجغرافى العربى، القسم الأول.

- كريستنسن (آراثر):

إيران فى عهد الساسانيين (نقله إلى العربية د. يحيى الخشاب، القاهرة ١٩٥٧م).

- نسترنج (ج):
بلـــدان الخلافـــة الشـــرقية (ترجمة بشير فرنسيس، كوركـــيس عـــواد ط ثانـــية ١٤٠٥هـــ/ ١٩٨٥م، بيروت).
- متز (آدم):
الحضـــارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى جـــ١ (نقله إلى العربية محمد عبد الهادى أبو ريدة، ط ثانية ١٣٦٦هـــ/ ١٩٤٧م، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة).
- محمد نور الدين عبد المنعم:
دراسات فى الشعر الفارسى حتى القرن الخامس الهجرى (ط القاهرة ١٩٧٦م).
- موريس لومبارد:
الجغرافـــية التاريخـــية للعالم الإسلامى خلال القرون الأربعة الأولى (ترجمة عبد الرحمن حميدة، ط دمشق ١٩٧٩م).
- هايد (ف):
تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى (جـــزءان) عـــربه عن الترجمة الفرنسية أحمد محمد رضـــا، مـــراجعة وتقديم د. عز الدين فؤده ط الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٥-١٩٩١م).

رابعاً: الدوريات والمعاجم:

- مجلة المسكوكات:
- سمير شما:
أقـــدم فلس ضرب فى خوارزم (مقال) (العدد ٣ سنة ١٩٧٣م، مكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض).
- المعاجم :
- القاموس المحيط (للفيروز أبادى)
- لسان العرب (لابن منظور)
- مختار الصحاح (للرازى محمد بن أبى بكر)
- المعجـــم الذهبى (فارسى، عربى- د. محمد التونجى، ط ثانية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م).
-المعجم الوسيط(مجمع اللغة العربية، ط ثالثة، القاهرة ١٩٨٥م).

خامسا المراجع الأجنبية

- Frge, (R. N.): The Heritage of Persia (London, 1962).
- Hudud al – Alam)The Regions of The World, A Persinn Geography 372 A. H. 982 A.D) Translate By V. Minorsky (Oxford 1937)
-
- Le Strange (G): The Geographical Part of The Nu Zhat- Al – Qulub Composed By: Hamd- Allah Mustawfi of Qozwin In 270 (1340) (Leyden, 1979).